قادة الفتح الإسلامي

عمر بن الخطاب
الفاروق القائد

تأليف
اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

الطبعة الثانية

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان



قادة الفتح الإسلامي

عمر بن الخطاب
الفاروق القائد

تأليف
اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

الطبعة الثانية

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر
بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون

(القرآن الكريم)

النور (٢٤ : ٥٥)

الإهداء

إلى والدي

كنتَ تتنغمُ عندما تُحدثني عن سيرة عُمر ابن الخطاب رضي الله عنه إعجاباً وتقديراً...

وكنتَ لا تملّ الحديث عنه، فجعلت حبه يتغلغل في أعماق أعماق نفسي...

فهذا الكتاب ثمرة من ثمرات أحاديثك الشيقة عن الفاروق التي لا تزال ترن في أذني..

رحمك الله وجعل ثواب هذا الكتاب علماً يُنتفع به خالصاً لك من ولدك.

محمود شيت خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي يسّر لي التفرّغ مرة ثانية [1] لكتابة سير قادة الفتح الاسلامي ، والصلاة والسلام على الرسول القائد وعلى آله وصحبه اجمعين .

وقفتُ كما يقف اصغر جندي في العالم أمام أعظم قائد في التاريخ داخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موسم الحج لعام ١٣٧٣ هـ (١٩٦٤ م)، والى جانب قبره الشريف في تلك الحجرة المطهّرة قبر صاحبيه ووزيريه في حياته : أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق رضي الله عنهما ... وهناك انبثقت في خلدي فكرة دراسة حياة الخلفاء الراشدين العسكرية ، فهم الذين نفّذوا أهداف الرسول صلوات الله وتسليمه عليه في الفتح ، وهم وضعوا مخططاته لحماية حرّية نشر الدعوة الأسلامية موضع التنفيذ ، وهم الذين تحمّلوا عبء قيادة الفاتحين من بعده ؛ فأقاموا (وحدة) رصينة ، وانشأوا (دولة) متماسكة على اسس مستمدة من تراثنا الروحي وتربتنا الطيّبة .

في ذلك المكان الطاهر ، في تلك الايام المباركة ، وأمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه العظيمين ، قطعتُ على نفسي عهداً أن أكتب تاريخ حياة الخلفاء الراشدين العسكرية .

واذا كان : (القادة الراشدون) ، وهذا اسم الكتاب الذي أدعو الله

---

(١) تفرّغت لكتابة سير قادة الفتح الاسلامي مرتين: الاولى بعد خروجي من سجون قاسم سنة ١٩٦٠ حتى ثورة رمضان المبارك سنة ١٩٦٣ م ، والثانيـة من ١٨/٦/١٩٦٤ - ١/٨/١٩٦٤ ، أي من (٨ صفر ١٣٨٤ - ٢٣ ربيع الاول ١٣٨٤هـ) .

العليّ أن يمدّني بعون من عنده لأنجازه ونشره ، قد بذلوا جميعهم قصارى جهدهم في قيادة العرب المسلمين ، فانّ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بدون منازع هو العهد الذهبي للفتح الأسلامي ، ففي أيامه فتح العرب المسلمون بلاداً شاسعة وثلّثوا عرش كسرى وزعزعوا عرش قيصر ، فكان عمر أعظم الفاتحين على الاطلاق في تاريخ الاسلام ... والذين جاؤوا من بعده من الخلفاء والملوك لم يستطيعوا ان يضمّوا إلى فتحه إلاّ بلاداً أقلّ بكثير مما حققه هو من فتوح .

وإذا كانت أسباب الفتح الأسلامي كثيرة ، فانّ على رأس تلك الأسباب ما كان يتمتع بهِ عمر من سجايا قيادية فذّة لا تتكرّر في غيره على مرّ السنين والعصور إلاّ نادراً ...

هذه السجايا الشخصية لقيادة الفاروق ، كان لها الاثر الحاسم على اندفاع المسلمين شرقاً وغرباً ، حاملين رايات الإسلام ومبادئه السمحة للعالم كلّه ، ومع ذلك لم يكتب أحد عن أثر قيادته في الفتوح من الناحية العسكرية الفنّية حتى اليوم !!!!

إنّ تاريخ العرب المسلمين الحربي، مفخرة من مفاخر تاريخ الحرب العالمي، وهذا التاريخ – إذا أحسن عرضه ونشره – غنيٌّ بالدروس والعبَر لكل عربي ولكل مسلم، بل لكل منصف من غير العرب والمسلمين، فلماذا يستورد العرب والمسلمون الدروس والعِبَر من تاريخ الأمم الأخرى ويتركون تاريخهم وراءهم ظهريا ؟ والى متى يبقون عالة على الأمم وأمتهم بأمجادها الشامخة أحرى الأمم بالتقدير والإعجاب ؟؟!

وإذا كان العرب والمسلمون ينسون أو يتناسون تاريخهم ولا يتحمّلون تبعة درسه وتمحيصه وإخراجه للناس ، بل يقابلونه بالإهمال والعقوق ، فلا تثريب على غيرهم من الأمم إذا قابلوه هم أيضاً بالنسيان والإهمال والعقوق ..

وإذا لم يذد عن الحمى أهل الحمى ، فهل يذود عنه الغرباء ؟؟!!

إن أنسَ فما أنسى يوم كنت تلميذاً في الكلية العسكرية عـــام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وضابطاً في كلية الأركان عـــام ١٣٦٧ – ١٣٦٨ هـ (١٩٤٧ – ١٩٤٨ م) ، وكان تاريخ الحرب أحد المواضيع التي تُدرس في هاتين الكليتين العربيتين في العراق البلد الإسلامي ، فقد ملأ ذلـــك التاريخ عقول التلاميذ والضباط فيهما بفيضٍ غامرٍ من أسمـــاء القادة الأجانب ... والعجيب أن بعض تلك الأسماء هم قادة جيوش الاستعمار في الحرب العالميـة الأولى (١٩١٤–١٩١٨) الذين أدخلوا الاستعمار الغربيّ الى البلاد العربية ! ! ويكفي أن أذكر أن من محاضرات تاريخ العرب المهمّة في الكلية العسكرية موضوع: « حرب العراق » ، وهـي الحرب الـتي استعمر بهـا البريطانيون وادي الرافدين !!! ... ولم اسمع حين كنت تلميذاً أو ضابطـاً في هاتين الكليتين محاضرة واحدة عن قائد عربي مسلم مثالاً للقادة الفاتحين ...

فهل نلوم الاستعمار وحده لحشره مثل هذه المناهج الدراسية في مدارسنا وكلياتنا ، أم نلوم أنفسنا أيضاً ؟؟

واذا كان الاستعمار شراً كلّه ، فان الاستعمار الفكري هو أخطر مزالق الاستعمار على الأمم ، وهو المنفذ الوحيد الذي يتغلغل منه المستعمرون الى العقول والقلوب .

واليوم – ولله الحمد وحده – نجد الكلّيات العسكرية وكلّيات الأركان في بلاد العرب وديار الاسلام ، تُدرّس فيما تدرّس موضوع: « تاريخ الحرب » الذي يضمّ أمثلة من قادة الفتح الأسلامي وعلى رأسهم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ... وكنتُ ولا أزال أتتبّع بشوق شديد وفرح غامر البحوثَ التي تُنشَر في المجلاّت العسكريّة والأطروحات الـــتي تُقدّم الى كلّية الأركان عن : «قادة الفتح الأسلامي» ، وعن : « معارك الفتح الأسلامي » ، حتى لقد كانت أطروحات الضباط التلاميذ في كلية الأركان العراقية في إحدى الدورات [1] عن : « قادة الفتح ، ومعارك الفتح » .

---

(١) هي دورة الاركان السادسة والعشرون وقد ضمت اطروحات الفصل الرابع التي قدمت ←

ولكنّني لا أرضى الوقوف عند هذا الحدّ من إشاعة الثقافة العسكريّة التأريخية عن قادة الفتح ومعاركه في المدارس والكلّيات ، بل أطمع في أكثر من ذلك ...

أطمع في ألا يقتصر أمر تدريس حياة الرسول القائد وقادة الفتح الأسلامي وحروب الفتح الاسلامي على الكلّيات العسكرية وعلى كلّيات الأركان العربيّة والاسلاميّة خاصةً وعلى المدارس والكليات عامةً .. بالرغم من أهمية هذه الدروس وفائدتها ، لأن تلاميذ المدارس وطلاّب الكليات هم عمدة بلادهم في الحاضر وقادتها في المستقبل ...

بل أطمع أن تكون حياة هؤلاء القادة الفاتحين عقيدةً وعملاً وتضحيهً وفداء – بعد أن لمس العرب والمسلمون روعتها وسموها ، وعرفوا نبلها وعلوّها ، مُثُلاً عليا يقتفي آثارها الحاكمون والمحكومون في أمصار العرب وبلاد الاسلام على حد سواء ...

يكونون مثلاً عليا للحاكمين ، حتى يهتدوا بهديهم ويسلكوا طريقهم ، فذلك (وَحْدَه) سيؤدي بهم الى نفس المثابة التي وصل اليها أسلافهم من قبل ونفس النتائج التي حقّقوها لأمتهم وبلادهم ...

ويكونون مثلاً عليا للمحكومين ، حتى يعرفوا كيف يكون الحاكم الصالح الذي يعمل لبلاده (حقاً) ويرفع شأنها بين الأمم .

هؤلاء القادة الفاتحون ، هم الذين جعلوا العرب المسلمين يقودون العالم قروناً طويلة على هدى وبصيرة ...

← الى الكلية في شباط سنة ١٩٦١ هذه المواضيع: عقبة بن نافع، فتح الاندلس، الاسلام مبدأ ودين ، معركة نهاوند ، عمرو بن العاص ، سعد بن أبي وقاص ، قتيبة بن مسلم ، معركة ذات الصواري ، موسى بن نصير ، فتح الهند ، ابو عبيدة بن الجراح ، محمد بن القاسم ... الخ ..الخ..

ومما يلفت النظر أن هذه الاطروحات قدمت في عهد قاسم الذي كان على طرفي نقيض مع هذا الاتجاه . مما يدل على تحدي التلاميذ لاتجاهه وشعوره .

وهؤلاء هم الذين أشاعوا العدل والمساواة والسلام بين شعوب العالم، وهم الذين أناروا الدروب للسالكين في أحلك عصور الظلم والظلام بنور الله فجاءهم نصر الله وأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ...

وهؤلاء هم الذين كوّنوا (قوةً) هائلة ، وأقاموا (وحدةً) رصينة ، وأسسوا (دولةً) عظيمة ، وأنشأوا (حضارةً) خالدة ، وحملوا (رسالةً) سماوية واجبة الأداء للعالم ...

وهؤلاء هم الذين آمنوا بالأسلام وتقبّلوه بما فيه من تكاليف للبذل والجهاد والتضحية والفداء ... خافوا الله فخافهم كل شيء ...

ذلك هو منهاجهم في الحياة الذي ملأ قلوبهم من مبدأ سيرهم الى نهايته ، وصاحبهم من (بدر) في الحجاز الى (بلاط الشهداء) في فرنسا ، ورحالفهم مشرّقين ومغرّبين وهازمين ومهزومين ؛ فجعلهم يثقون بوعد الله لهم في فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل ...

أما أن نسلك غير طريقهم ، ونهتدي بغير هديهم ، ونعمل بغير عملهم ، ونقتفي آثار غيرهم ، ونستورد المبادىء من الشرق والغرب مبهورين متخاذلين ... ثم نرجو بعد كل ذلك النصر والعزّة ، فهذا لا يكون أبداً ... وواقعنا المرير خير دليل على ذلك : (أفمن أسّسَ بنيانَه على تقوى من الله ورضوانٍ خير أم من أسّسَ بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ ، فانهار به في نارِ جهنّم ، والله لا يهدي القومَ الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم إلاّ أن تقطعَ قلوبهم ، والله عليم حكيم . إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة ، يُقاتِلون في سبيل الله ، فيقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) [1] .

---

(١) الآيات الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١٠٩ – ١١١) .

إنّ صلاح الرعيّة لا يـكون إلاّ بصلاح الراعي ، فليصلح الراعي نفسه أولاً ، وحينذاك ستُصْلح الرعيّة أنفسهم حتماً ...

لقد أصلح عمر ما بينه وبين الله ، فأصلح الناس ما بينهم وبين الله وما بينهم وبين عمر : أخلص في عمله فأخلصوا ، وعفّ فعفّوا ، وكفّ فكفّوا ، وعدل فعدلوا ، ونسي نفسه في سبيل مصالحهم فنسوا أنفسهم في سبيل بلدهم وأمتهم وفي سبيل الله ...

فلينظر الرعاة كيف يحكمون بهدى من دينهم وتاريخهم ليريحوا ويستريحوا، فكفى تجارب وكفى محاولات ، فلن يكون الذَنَب أكثر من حقيقته : يركض وراء صاحبه دون أن يكون له رأي أو هدف .. ودون أن يعرف المنقلب والمصير ...

إنّ الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه ، قضى حياته المباركة في مكة المكرّمة من بعثته الى هجرته موحّداً من أجل الجهاد ...

وقضى حياته المباركة من هجرته الى المدينة المنوّرة الى التحاقه بالرفيق الأعلى مجاهداً من أجل التوحيد ...

فكانت حياته الكريمة كلها ، توحيداً من أجل الجهاد ، وجهاداً من أجل التوحيد : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبيّنُ الله لكم آياته لعلّكم تهتدون)[1]، لذلك معناه بكلمات موجزة : الوحدة تحت لواء الإسلام .

وقد قضى الخلفاء الراشدون من بعده حياتهم كلها موحّدين من أجل الجهاد ، ومجاهدين من أجل التوحيد ...

وكل من يريد خدمة بلاده والفوز في الدنيا والآخرة عليه أن يقتفي آثار

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .

الرسول القائد وخلفائه الراشدين من بعده : توحيدٌ من أجل الجهاد ، وجهادٌ من أجل التوحيد : (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده) [1] .

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب أقفالها ؟؟ !! ...

---

(١) الآيات الكريمة من سورة الانعام (٦ : ٨٨ - ٩٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في العراق وحـــده خلال فترة من الزمن هي أقل من شهر واحد ، فوجب عليّ ان أعيد طبعــه ثانية لنشره في البلاد العربية كلها وفي دار الاسلام .

وما ذكرت ذلك إلا تذكرة لقادة الفكر الاسلامي ولكل من يستطيـع حمل القلم ليذود به عن حياض الاسلام ،أن يبذل قصارى جهده باحثاً ومدققاً وكاتباً في تاريخ العرب ومبادىء الاسلام ، فهذا الجهـــاد وحده ينقذ عقول المسلمين ونفوسهم مما ابتليت به من استعمار فكري ظل يتغلغل في أعمــاق أعماقها ويعمل عمــله المدمر في عقولها وقلوبهــا معاً منذ داهم البلاد العربية والاسلامية الاستعمار الحديث .

لقد أيقن هــذا الاستعمار – شرقياً كان أم غربياً – أنه لن ينجح في الاستحواذ على المسلمين ما لم يشككهم في عقائدهم وتاريخهم وتراثهم ، لذلـك عمل جاهداً بكل ما لديه من قوة ومال وأساليب خبيثة ظاهرة وخفية على

نشر المبادىء المستوردة والتاريخ المستور والتراث المستورد ، حتى ظن كثير من المسلمين – وعلى رأسهم بعض مفكريهم مع الاسف الشديد ،أنه لامبادىء أفضل من مبادىء المستعمر ولا تاريخ أفضل من تاريخ المستعمر ، ولا تراث أفضل من تراث المستعمر ، ولا أساليب حياتية أفضل من أساليب المستعمر الحياتية .

فلما استطاع العرب والمسلمون التخلص من الاستعمار العسكري والاستعمار السياسي والاستعمار الاقتصادي ، بقي الاستعمار الفكري – وهو اخطر أنواع الاستعمار – مسيطراً على العقول والقلوب ،لأن المسلمين كانوا ولا يزالون يجهلون محاسن مبادئهم ومفاخر تاريخهم وفضائل تراثهم العريق .

إن على قادة الفكر الاسلامي أن يتحملوا واجباتهم كاملة في هذه الظروف لمحو أدران الاستعمار الفكري من دار الاسلام ، والسبيل الى ذلك هو بعث عقائد الاسلام وتاريخه وتراثه باسلوب علمي حديث،حتى يملأ المسلمون فراغهم الفكري بما يقرؤون ، لأن الفكرة كما هو معروف لا تقاوم إلا بفكرة أفضل منها ، ولان الهجوم المقابل هو انجع أساليب الدفاع .

ولكن على قادة الفكر ألا يفكروا بجيوبهم أولاً بل يجب أن يؤثروا عقولهم وقلوبهم ، لان الفكرة التي تنبثق عن الجيب لا تؤثر أبداً ، والفكرة التي تخرج من القلب تؤثر في القلب وتدخل النفوس بغير استئذان !

والله أسأل أن يأخذ بأيدي العاملين لخدمة العرب والمسلمين لما يحبه ويرضاه . وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

عُمَر بن الخطّاب

القائد الأعلى لجيوش المسلمين

١٣ هـ – ٢٣ هـ

٦٣٣ م – ٦٤٣ م

« كان إسلام عمر فتحاً ، وهجرته نصراً ، وامارته رحمة »

(عبدالله بن مسعود)

الفتح الإسلامي وروّاده قبل عمر

الفتح الاسلامي

الفتح الإسلامي نسيج وحده في تاريخ البشر ، لا يشبهه فتح ولا يدانيه ولا يقاس به ، ولم ينقل المسلمون الأولون بهذا الفتح الإسلام الى الأمم ، بل نقلوا به الأمم الى الإسلام .

فقد خرج المسلمون يعلنون كلمة الله ويبشّرون بدينه ، ويبذلون في سبيل ذلك دماءهم وأرواحهم ، ويفارقون من أجله ديارهم وأولادهم . لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

كانت غايتهم إصلاح البشر في أخلاقهم وأرواحهم وعقولهم ، وسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم ؛ فاذا قبلوا الهداية كفّوا عنهم ، وإن لم يقبلوا فرضوا عليهم الجزية ، وإن أبوا قاتلوهم[1] .

إذا حاربوا حافظوا على شرفهم : لا يغدرون ولا يمثّلون ولا يجهزون على جريح ولا يقتلون أو يقاتلون امرأة ولا يعرضون لعاجز ، ولا يمسّون متعبداً ولا يؤذون متعبداً ، ولا يخرّبون داراً ، ولا يفسدون ماء[2] .

لا يلهيهم عن غايتهم مال ولا يشغلهم جاه ، ولا ينسيهم هذه الغاية خطر ... يعملون لله وحده لا لجاه ولا لذكر ولا لمال .

---

(١) انظر تعاليم الفتح في الاسلام في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧٦) .

(٢): انظر المنتقى من أخبار المصطفى (٢/٧٧١ - ٧٧٤) وتيسير الوصول (١/٢٣٢-٢٣٧)

لا يترفّعون بشيء على المغلوبين ، فكلُّ من دخـــل في دينهم له ما لهم وعليه ما عليهم ...

كانوا لا يعلنون عن الإسلام بألسنتهم فحسب ، ولكنهم كانوا في أخلاقهم ومعاملاتهم وسيرتهم أمثلة حيّة وترجمةً عملية لتعاليم الإسلام .

لذلك لم ينجل الفتح الاسلامي عن غالبين ومغلوبين كما هو الحـــال في كل فتح ، وإنما انجلى عن أمة واحدة لها ربٌّ واحد ونبي واحد وقرآن واحـد وسنّة واحدة .

ولذلك استقرَّ الفتح الاسلامي وخلد ، وبقيت البلاد المفتوحة للاسلام ، فكان هذا الفتح فتحاً (مستداماً) ، لأنه كان فتح خير وبركة وهداية .

لقد سجّل التاريخ قبـــل الفتح الاسلامي حروباً كثيرة : للآشوريين والبابليين والفراعنة واليونان والرومان والفرس وأهل قرطاجنّة وغيرهم ..

وسجّل التاريخ بعد الفتح الاسلامي حروباً كثيرة: لجنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك وللصليبيين وحروب الاستعمار الحديث الشرقي والغربي وحروب هتلر وموسليني والميكادو وغيرهم ..

سجّل التاريخ قبل الفتح الاسلامي وبعده حروباً عاصفة عاتية ، تهبُّ على الكون مخرّبة مدمّرة ، ثم تضعف العاصفة وتضمحل فلا تدع وراءهـا غير الخراب والدمار . ذلك لأن الحروب لم تدر رحاها إلاّ ابتغاء أرض يضمّها الغازي الى أرضه ، أو شعب يحكمه مع شعبه ، أو غنائم ينالهـــا ، أو ثأر يطلبه ، أو خيرات يستولي عليها أو كنز يملكه[1] !

لذلك بقي الفتح الإسلامي خالداً مستداماً، وعفت الأيام على حروب الآخرين

إن الحروب الاسلامية (فتحٌ) ، لأنها حروب لحماية حرية نشر الدعوة ولإقرار أركان السلام ، فهي حروب خير وبركة وتحرر وانطلاق .

---

(١) انظر تفصيل هذه المعاني في كتاب : أخبار عمر (٩٨-١٠٤) .

امـــا الحروب الأخرى فهي (استعمار) ، لأنهـا حروب لحماية أطماع شخصية ، تثيرها العصبية العنصرية أو العصبية الدينية أو المطامع والمنافع أو حب الأمجاد والمغانم والأسلاب ؛ فهي حروب خراب ودمار ، واستعبـــاد وتحكـّم .

وشتان بين (الفتح) و (الاستعمار)

عوامل انتصار الفاتحين

كانت تسيطر على الشرق الأوسط إمبراطوريتان عظيمتان استقرّتا فيه بضعـــة قرون ، هما : الإمبراطوريّة الساسانيّة في العراق والمشرق ، والإمبراطورية البيزنطية في سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين ومصر وشمالي إفريقية .

ومع سعة املاك هاتين الإمبراطوريتين وعظمة مظاهرهما ، وطول مدة حكمها ، إلا أنه كان فيها كثير من عوامل الضعف والانحلال .

من هذه العوامل : ضعف العقيدة ، واختلاف النظام ، ونقص القيادة ، وعواقب الترف ، وتفرّق الآراء ؛ ولكنّ البـــلاء الأكبر إنما حاق بتلك الإمبراطوريتين من آفة الغرور الباطل والاستخفاف بالخصم المقاتل ؛ فكانت دولة الفرس لا تنظر الى البـــادية العربية إلا نظرة السيّد المبجّل الى الغوغاء المهازيل الذين يحتاجون إما الى العطاء وإما الى التأديب [1] .

- لقد كانت عوامل الفناء قد اصطلحت على هدم الأمبراطوريتين الفارسيـة والرومانية قبيل الإسلام وأيام الفتح الإسلامي [2] .

ولكنّ العوامل التي قضت على الفرس والروم بالهزيمة – كائنة ما كانت –

---

(١) عبقرية خالد (٦-٧) .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في مقدمة قادة فتح العراق والجزيرة (١٣ - ١٨) ومقدمة كتاب قادة فتح الشام ومصر ، ومقدمة هذا الكتاب ،وانظر : الخلفاء الراشدون (٧٠ - ٧٢).

ليست هي العوامل التي قضت للعرب المسلمين بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لأن استحقاق دول للزوال لا ينشىء لغيرها حق الظهور والبقاء .

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى ، فقد كان في ارض هاتين الدولتين عرب كثيرون يدينون لها بالطاعة وينظرون اليهما نظرة الإكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال اوفر من مقاتلة المسلمين وأمضى سلاحاً وأقرب الى ساحات القتال من اولئك النازحين إليها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام المسلمين ، وهم كذلك أوفر في العدد والسلاح ، واغنى بالخيل والإبل والأموال .

بل إن الفئة القليلة من العرب المسلمين انتصروا على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده في أيام الردة وأيام الفتح الاول في عهد أبي بكر الصديق .

فهي نصرة عقيدة لامراء ، ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول ..

فالواقع ان الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالاً أولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائهم .

إنها عقيدة منشئة يذود عنها حماة قادرون [1] .

لقد كان العرب قبـــل الاسلام ماهرين في حروب العصابات، ماهرين في استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة وسرعة وبأقل تكاليف إدارية ؛ ولكنهم كانوا متفرّقين،بأسهم بينهم شديد ؛ لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحلية .

---

(١) عبقرية خالد (١٢٦ - ١٢٨) .

فلما جاء الاسلام ، وحّد عقيدتهم ونظّم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط[1] والطاعة، وطهّر نفوسهم ، ونقّى أرواحهم، وأشاع فيهم انسجاماً فكرياً ، فأصبحت قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة قبل الإسلام تعمل بنظام دقيق وضبط متين بعد الإسلام ، بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها أخوة يتحابّون بنور الله ويهتدون بهديه ، وهم أمة واحدة تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الإسلام [2] .

كما دفعت هذه العقيدة الى نفوس المسلمين جميعاً حميّة سمت بهم إلى الإيمان بأنهم لا غالب لهم من دون الله، وحبّبت اليهم الاستشهاد في سبيل الحق، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر [3]؛ كما بعثت فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم [4] .

كما غرست هذه العقيدة في نفوس المسلمين الإيمان المطلق بالقضاء والقدر ، لذلك استهانوا بالموت وأقدموا عليه فرحين مستبشرين : مرّ المسلمون على رجل يوم (القادسية) وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص ويقول : (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً [5])، فقال له رجل : « من أنت يا عبدالله ؟! » ، فقال : « رجل من الأنصار » [6] .

إنّ مجمل عوامل انتصار الفاتحين هي : نشاط العرب وخفّة أثقالهم ،

---

(١) الضبط: الانضباط كما يطلق عليه في جيوش بعض الدول العربية . والضبط هو الذي يميز العسكريين عن المدنيين ، ومعناه : إطاعة الاوامر وتنفيذها نصاً وروحاً عن طيبة خاطر وبكل إخلاص في السراء والضراء، وحين البأس ، وفي مختلف الظروف والاحوال .

(٢) غزوة أحد (٨ - ٩) ، وانظر خاتمة كتاب : قادة فتح الشام ومصر بعنوان : أثر الإسلام في العرب .

(٣) الصديق أبو بكر (١٨) .

(٤) قادة فتح العراق والجزيرة (١٩) .

(٥) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٦٩) .

(٦) الخراج لابي يوسف (٣٦) .

وشجاعتهم وحسن تدريبهم على استعمال أسلحتهم ، ومهارتهم في الفروسية ، واكتفاؤهم الذاتي بأبسط القضايا الإدارية وأقلها، وقابليتهم الممتازة على تطوير أساليب قتالهم ، وحفظ خط رجعتهم [1] ، فهم لذلك كلّه جنود ممتازون . وتيسّر قادة أكفاء قادرين على قيادة رجالهم بحزم وجدارة ، وانتشار العقيدة الإسلامية بين صفوفهم ، وما كانت عليه أحوال الدولتين الفارسية والرومانية من اعتلال واختلال وتسامح المسلمين ونشرهم العدل وتركهم البلاد المفتوحة على ما هي عليه من دين ومعاملات [2] ...

لقد انتصر المسلمون اولاً وقبل كل شيء بعقيدتهم المنشئة البناءة التي حملها الى الناس حماة قادرون قادة وجنودا .

جذور الفتح الإسلامي

١ - الرسول القائد النبي العربي محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه، هو أبو الجيش الاسلامي الاوّل ومؤسسه وقائده ورائده وبشيره ونذيره ومنظّم صفوفه ومدرّب رجاله ومجهّزه ومسلّحه وباعث كيانه وموطّد أركانه وراسم أهدافه ومخططها .

إنّ تاريخ الجيش الإسلامي الأوّل جيش المهاجرين والأنصار وأصحاب النبي ﷺ ، ذلك الجيش الذي كان النواة الأولى للفتح الإسلامي العظيم في عهد الشيخين : أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما ، يتلخّص بأربعة أدوار ، تدرج بها هذا الجيش من الضعف الى القوة ، ومن الدفاع الى الهجوم، فأصبح قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد يعمل تحت قيادة واحدة .

الدور الأول ، هو دور التحشّد : من بعثته صلى الله عليه وسلم سنة (٦١٠ م) الى هجرته الى المدينة المنوّرة سنة (٦٢٢ م) واستقراره هناك . وفي هذا الدور اقتصر الرسول القائد على الحرب الكلامية : يبشّر وينذر ويجاهد لنشر الإسلام ، وبذلك كوّن الخميرة الأولى لقوات المسلمين ، ثم

(١) سنفرد لذلك فصلا خاصاً .

(٢) انظر كتاب : الخلفاء الراشدون (٦٧ - ٧٣)

حشدهم في المدينة بالهجرة اليها .

والدور الثاني ، هو دور الدفاع عن العقيدة ؛ من بـــدء إرسال الرسول القائد سراياه وقواته للقتال [1] الى انسحاب الأحزاب عـــن المدينة المنورة بعد غزوة (الخندق) [2] وبهذا الدور ازداد عدد المسلمين ، فاستطـــاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضدّ أعدائهم الأقوياء .

والدور الثالث ، هو دور الهجوم : من بعد غزوة (الخندق) الى غزوة (حُنَيْن) [3] ، وبهذا الدور انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية كلهـا ، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في البـلاد العربية ، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرّضت للإسلام .

والدور الرابع ، هو دور التكامل : من بعد غزوة حُنَيْن الى أن التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى [4] ، فقد تكاملت قوات المسلمين بهذاالدور ، فشملت شبه الجزيرة العربية كلها ، وأخذت تحاول أن تجد لها متنفساً خارج شبه الجزيرة العربية ، فكانت غزوة (تبوك) [5] إيذاناً بمولد الدولة الإسلامية [6] .

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة من بعثته حتى هجرته توحيداً من أجل الجهاد ، وكانت حياته المباركة في المدينة المنورة من هجرته اليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد .

ومنذ نزلت أول آية في القتال : (أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا ،

---

(١) أول سرية أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم هي سرية حمزة بن عبد المطلب الى « العيص » وذلك في رمضان من السنة الاولى للهجرة .

(٢) في شوال من السنة الخامسة للهجرة .

(٣) في شوال من السنة الثامنة للهجرة .

(٤) في يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة إحدى عشرة هجرية .

(٥) في رجب من السنة التاسعة للهجرة .

(٦) الرسول القائد (٩) الطبعة الثانية .

وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربُّنا الله) [١] ، خرج الرسول القائد غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه الى المدينة ، وبذلك بدأ استخدام الجيش الاسلامي (عملياً) في القتال .

لقد قاد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانياً وعشرين غزوة بنفسه خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة ، فقد خرج الى غزوة (وَدَّان) وهي أول غزوة قادها الرسول القائد بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت (تبوك) آخر غزواته في رجب من السنة التاسعة للهجرة ؛ وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته ، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات وهي بدر ، وأحُد، والخندق ، وقُرَيْظة، والمُصْطَلِق ، وخيبر، وفتح مكة وحُنَيْن ، والطائف ، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة منها بدون قتال [٢] .

لقد كان الرسول القائد على رأس الحماة القادرين الذين خطّطوا للفتح الإسلامي ، فهو الذي رسم بنفسه الخطّة التمهيدية التي حملت الجيوش العربية الإسلامية على فتح أرض الشام وتأسيس أول ركن لدولة الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية على شواطىء البحر الأبيض المتوسط الشرقية . ذلك أن الرسول ﷺ الى جانب تبليغه الدعوة الإسلامية الى قادة العالم في وقته ، كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحطّ من شأن دعوته أو يعمل على النيل منها ، فلم يقف ساكناً إزاء استشهاد رسوله الذي بعثه الى أمير الغساسنة في (بُصْرى) [٣] ، فأرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) أحد قادته المقربين اليه ، وهو زيد بن حارثة الكلبي على

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحج (٢٢ : ٣٩ - ٤٠)

(٢) الرسول القائد (٢٩٧) الطبعة الثانية .

(٣) بصرى : وهي قصبة كورة حوران من أعمال دمشق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٧٨) .

رأس حملة عددها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب. وهناك عند (مُؤْتَة)[1] الواقعة على حدود (البَلْقَاء)[2] الى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر (الميّت) التقى المسلمون بقوات الروم[3] .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة (مُؤْتَة) ، فإن نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الروم تلك الغزوة غارة من الغارات التي اعتاد البدو شنّها للنهب والسلب ، كانت غزوة زيد هذه في الحقيقة غزوة من نوع جديد لم تقدّر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمة خاصة جعلت المسلمين يتطلّعون جدياً لفتح أرض الشام .

وفي العام التالي ، أي في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠ م) ، قاد النبي ﷺ بنفسه غزوة (تَبُوك) ، فأظهر قوّة المسلمين وعاد الى المدينة المنوّرة .

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) ، أعدّ النبي ﷺ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد[4] لمهاجمة الروم ؛ غير أن النبي ﷺ توفي في ربيع الأول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢ م) قبل تحرك ذلك الجيش ، فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم ، وولىّ وجوههم شطر قبلة عيّنها لهم ... وهكذا وقف الرسول القائد بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحلّ ببلاد العرب وتناوىء دعوته إنما موطنها أرض الشام حيث الروم وعمّالهم الغساسنة، وقد أثبتت حوادث الفتح الإسلامي في أراضي الروم صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عناداً[5] .

---

(١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء على حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ١٩٠) .

(٢) البلقاء : كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٧٦) .

(٣) انظر تفاصيل معركة مؤتة في كتاب الرسول القائد (٢٠٣ / ٢٠٧) .

(٤) انظر ترجمته في الكتاب الثالث من كتاب قادة الفتح الاسلامي عن : قادة فتح أرض الشام ومصر ص (٣٣ - ٥١) .

(٥) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٤١) .

٢ - فماذا عمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه لتحقيق أهداف النبي ﷺ وكيف سار قدماً نحو انجازها ؟؟

لم يزل أبو بكر الصديق في كل عمل من أعمـــاله منذ أسلم الى أن تولـّى الخلافة مؤسساً لهذا البناء الشامخ الذي كان هو أول من قام عليه بعد بانيه الاول عليه الصلاة والسلام

بعد البيعة بالخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كانت بعثة أسامة ابن زيـــد ، وكانت حروب الردة ، وكانت بعوث العراق والشام ، فقام أبو بكر الصديق على هذه المآثر الثلاث التي لا يقضي حقـّها من الاكبار كل ما قام بعد ذلك من بناء .

وكانت بعثة أسامة العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الاسلامية ، هي في ذلك الحين خير السياسات .

كان قوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله ﷺ ، وكانت الطاعة — جد الطاعة — مناط السلامة وعصمة المعتصمين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين .

وحيث يكون التمرّد هو الخطأ الأكبر، فالطاعة — بل الطاعة الصارمة — هي العصمة التي ليس من ورائها اعتصام .

وقد كان التمرّد هو الخطر الأكبر في ذلك الحين لامراء !

كان النفاق يطلع رأسه في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وكانت القبائل البادية تتسابق الى الردّة في انحاء الجزيرة العربية ، وكان جند أسامة يودّ لو استبدل به أميراً غيره ، وكان أسامة أول من يشك في طاعة القوم إياه ويترقـّب أن يخلفه على البعثة أمير سواه !

تمرّد أو نذير بتمرّد في كل مكان !

وطاعة واجبة هنا حيث نبغ التمرّد ، أو لا سبيل الى واجب بعـــد ذلك يُطاع .

طاعة أو لا شيء ، فأن بقيت الطاعة بقي كل شيء ...

وهنا تسعف الصدّيق طبيعة هي أعمق الطبـائع فيه ، فيقول وقد خوّفوه الخطر على المدينة المنورة والجيش يفارقهـا : « والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ولو أن الطير تخطفتنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرّت بأرجل أمهـات المؤمنين ، لأجهزنّ جيش أسامة ..

فلا خطر إذن – في نظر الصديق – أكبر خطر الاجتراء على حق الطاعة في تلك الآونة ، ولو جرّت الكلاب بأرجل البنات والأمهات .

لقد رأى أبو بكر الصدّيق ، أن العصمة – حقّ العصمة – في رأي واحد لا رأي قبله ولا بعده ، وهو الطاعة في غير ليّ ولا هوادة ولا إبطاء.

وقد ضرب المثل الأول في الطاعة التي أرادها ، فشيّع البعثة وهو ماشٍ على قدميه وعبد الرحمن بن عوف يقود دابته بجواره ، فقـال أسامة : « يا خليفة رسول الله ! والله لتركبنّ أو لأنزلنّ » : فقـال « والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما عليّ ان أغبرّ قدميّ في سبيل الله ساعة » .

ثم استأذن أسامة قائلاً : «إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل » ، فعاد عمر باذنه : باذن القائد الذي هو في مقام الطاعة هناك ، حتى على الخليفة وعلى أكبر الصحابة من بعده .

ثم قال لأسامة : «اصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلّم .. ولا تقصّرون في شيء من أمر رسول الله » .

لقد أدرك أناس في عصر أبي بكر الصدّيق صواب الرأي في انفاذ تلك البعثة بعد انفاذها وعودتها ، فشاع في الجزيرة العربية خبرهـا ، وروى مؤرخو تلك الفترة أنها كانت لا تمرّ بقبيل يريدون الارتـداد إلاّ تخوفو

وسكنوا وقالوا فيما بينهم : « لو لم يكن المسلمون على قوّة لما خرج من عندهم هؤلاء » .

فاذا كان بقاء أسامة بالمدينة المنوّرة جائزاً لدفع خطر ، فارساله كذلك جائز لدفع خطر مثله ، وفازت الدولة بين هذا وذاك بدرس الطاعة ، وهو يومئذ ألزم الدروس [1] .

ثم تكرّر هذا الدرس في أوسع نطاق ، لأنه نطاق الدولة الإسلامية كلها في ذلك الحين .

وجاءت حروب الردّة التي هي مفخرة أبي بكر الصدّيق الكبرى غير مدافع ، أو هي مفخرته الخاصة التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الإسلامية بغير شريك [2] .

ولانصاف التاريخ يجب أن تفهم هذه الفتنة على أنها أصدق امتحان للدعوة المحمدية خرجت منه دعوة من الدعوات .

فاذا كشفت فتنة الردة عن زيغ الزائغين وريبة المرتابين ، فهي قد كشفت كذلك عن الإيمان المتين والفداء السمح واليقين المبين ، فحفظت للناس نماذج للصبر والشجاعة والايثار والحميّة تشرق بها صفحات الأديان ، وجاءت الشهادة الأولى على لسان رجل من أصحاب طليحة الأسدي ، سأله : « ويلكم ! ما يهزمكم ؟ » ، فقال له : « أنا أحدّثك ما يهزمنا . انه ليس رجل منا إلاّ ويحب أن يموت صاحبه قبله ، وإنا لنلقى قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه ! » [3] .

---

(١) عبقرية الصديق (١٣٢ - ١٣٧) .

(٢) عبقرية الصديق (١٣٨) .

(٣) عبقرية الصديق (١٤٦) .

فقد ارتدّت طوائف من العرب ومنعت الصدقة ، وقـــال قوم منهم : نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة »، فقال أبو بكر رضي الله عنه: « لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه » [1] .

قال عبدالله بن مسعود : « لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أنّ الله منّ علينا بأبي بكر . أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأننا نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ؛ فوالله مـــا رضي منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية . فأما الخطة المخزية ، فان يقروا بأنّ من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة ، وأن يدوا قتلانا ، ونغنم ما أخذنا منهم ، وأن ما أخذوا منا مردود علينا ؛ وأما الحرب المجلية. فأن يخرجوا من ديارهم [2] » .

وعـــاد بعث أسامة ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وجنـــده معه ليستريحوا ويريحوا ظهورهم ، ثم خرج فيمن كان معه . وناشده المسلمون ليقيم فابى وقال : « لأواسينكم بنفسي ! » ، وسار الى (ذي حسيّ) [3] و (ذي القَصّة) [4] حتى نزل بـ (الأبْرُق) [5] ، فقاتل مَنْ به ، نهزم الله المشركين . وأقام أبو بكر بـ (الأبرق) أياماً وغلب على بني ذبيان

---

(١) البلاذري (١٠٣) .

(٢) ابن الاثير (٢/١٣٠) .

(٣) ذو حسي : وقد وردت في معجم البلدان : حساً . وادٍ بأرض الشربة من ديار عبس وذبيان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٧٥) .

(٤) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً ، وهو طريق الربـــذة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١١٤) .

(٥) الابرق : هو ابرق الربذة ، انظر معجم البلدان (١/٧٧) .

وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم .

وعقد أبو بكر أحد عشر لواء لقتال المرتدين : عقد لواءً لخالد بن الوليد [1] وأمره بمسيلمة ، وعقد للمهاجر بن أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ثم يمضي الى كندة بحضرموت ، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه الى مشارف الشام ، وعقد لعمرو بن العاص [2] وأرسله إلى قضاعة ، وعقد لحذيفة بن محصن وأمره بأهل (دَبَا) [3] ، وعقد لعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة [4] وأمره بـ (مهره) [5] وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهم على صاحبه في عمله ، وبعث شرحبيل بن حسنة [6] في أثر عكرمة ابن أبي جهل [7] وقال : « اذا فرغ من اليمامة فالحق وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة» ، وعقد لمعن بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، وعقد لسويد بن مُقَرّن [8] وأمره بـ (تهامة) باليمن ، وعقد للعلاء بن الحضرمي [9] وأمره بالبحرين ؛ ففصلت الأمراء من (ذي القصّة) ولحق بكل أمير جنده ، وعهد الى كل أمير ، وكتب الى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الاسلام ويحذّرهم [10] .

---

(١) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة ،

(٢) انظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر ، ص (١٢٣)

(٣) دبا : سوق من أسواق العرب بعمان ، وهي بعمان مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأشعارها ، وكانت قديماً قصبة عمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٠) .

(٤) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة .

(٥) مهرة : قبيلة من قبائل العرب وهي مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف من قضاعة ، تنسب اليها الابل المهرية ، وباليمن لهم مخلاف . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢١١) .

(٦) انظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر ، ص (١١٣)

(٧) انظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر ، ص (٨٥)

(٨) انظر ترجمته في : قادة فتح بلاد فارس ، ص (١٩٥)

(٩) انظر ترجمته في : قادة فتح بلاد فارس ، ص (٢٤٩)

(١٠) ابن الاثير (٢/١٣٢) والطبري (٢/٤٨٠) .

بهذه الخطة السوقية (الاستراتيجية) البارعــة التي حرّك أبو بكر الصديق رضي الله عنه بموجبها قوات المسلمين على الخطوط الداخلة [1]، أجبر المرتدين على الدفاع في أماكنهم اولاً ، وعدم الاجتماع في منطقة واحدة كقوة ضاربة لتهديد جيش المسلمين بقوات متفوقة تفوقاً ساحقاً ثانيــاً ، والتغلغل بعيداً في ارجاء شبه الجزيرة العربية شرقاً وشمالاً وجنوباًلابعاد خطر المرتدين الداهم عن المدينة المنورة قاعدة المسلمين الرئيسية أخيراً . بهذه الخطة الدقيقة استطاع ابو بكر الصديق رضي الله عنه القضاء على فتنــة المرتدين – تلك الفتنة العمياء التي هدّدت الاسلام والمسلمين بالخطر العظـيم ... فلم تحل سنة اثنتي عشرة هجرية (٦٣٣ م) أي بعد عام من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، إلا وكانت طلائع الجيوش الاسلامية تهدّد ملك كسرى في العراق وملك قيصر في ارض الشام وتهاجم جيوش الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية في عقر دارهما .

عن ابي رجاء العطاردي قال : « دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول : أنا فداؤك ! لولا أنت لهلكنا . قلت : من المقبِّل ومن المقبَّل ؟ قالوا عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين [2] » .

لقد قابل أبو بكر الصديق فتنة الردّة بأحزم ما تقابل به من بدايتها الى منتهاها ، وعالجها علاجها في كل خطوة من خطواتها وكل ناحية من نواحيها ، بادرهــا بالحزم من صيحتها الاولى ، وتعقّبهــا بالحزم يوماً بعد يوم ، حتى

---

(١) هي الخطوط التي يسلكها فريق ما بجيشين أو اكثر على ان يتباعد بعضها عن بعض ، هي عكس الخطوط الخارجة . انظر الجغرافية العسكرية ص ١٦ لطه الهاشمي الطبعة الثانية .

(٢) الرياض النضرة (١/١٣٠).

أسلمت مقادها وثابت الى قرارها [١] .

إنه حطّم معنويات المرتدين بإنفاذ جيش أسامة ، فكان إنفاذه أعظم نفعاً للمسلمين، فان العرب قالوا : « لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش» ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه [٢] ، وبذلك ربح الجولة الأولى من هذه المعركة .

وأقدم على توجيه جيوشه الى المرتدين رافضاً ما عرضه عليه بعضهم من إقامة شعائر الاسلام كلها إلا الزكاة ، لأن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ، وحاربهم على الزكاة حتى اعاد الى شبه الجزيرة العربية الوحدة تحت لواء الاسلام كما كانت ايام النبي ﷺ ، وبذلك ربح الجولة الثانية ...

وبانتصاره الباهر في هاتين الجولتين في حرب الردّة ، أعاد الى العرب الوحدة والضبط والنظام ، فأصبحوا قوة جبارة وجدت لها متنفساً في الفتح الإسلامي .

ففي سنة اثنتي عشرة هجرية كانت جيوش خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة [٣] تتغلغل في أنحاء العراق متنقلة من نصر الى نصر ، حتى وصلت الى (الفِراض) تخوم الشام والعراق والجزيرة [٤] .

وفي سنة ثلاث عشرة هجرية (٦٣٤ م) كانت جيوش المسلمين وعلى

---

(١) عبقرية الصديق (١٤٩) .

(٢) ابن الاثير (٢/١٢٨) .

(٣) انظر ترجمته في كتاب : قادة الفتح الاسلامي .

(٤) انظر مادة فراض في معجم البلدان (٦/٣٥٠) وانظر ابن الاثير (٢/١٥٣) عن فتح الفراض .

رأسها خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح [1] وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن ابي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعكرمة بن ابي جهل يدكون معاقل الروم في أرض الشام وينتصرون في معركة اليرموك [2] أول معركة حاسمة من معارك الفتح الإسلامي .

في تلك السنة مات أبو بكر الصّديق القائد الأعلى الثاني لجيوش المسلمين ، بعد أن بدأ بالفتح بداية موفّقة منفذاً خطّة القائد الأعلى الأول محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه .

فماذا فعل القائد الأعلى الثالث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتنفيذ خطة الرسول القائد في حمل رسالته السامية الى الشرق والغرب ؟؟...

---

(١) انظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر ص (٥٤) .

(٢) انظر ابن الاثير (٢/١٥٤ - ١٦٠) .

الفتح الإسلامي بقيادة عمر

الفاتح

عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو عهد الفتح الإسلامي الذهبي ، فقد حالف النصر فيه أعلام المسلمين ، فامتدّت دولتهم حتى جاوزت أفغانستان والصين شرقاً ، والأناضول وبحر قزوين شمالاً ، وتونس وما وراءها من إفريقية الشمالية غرباً ، وبلاد النوبة جنوباً [1] .

لقد فتح عمر العراق وإيران وأكثر مناطق ارمينية وبلاد الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الاردن وفلسطين ، ومصر وليبيا والنوبة ، وخاضت جيوش المسلمين في أيامه ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الإسلامي : معركة (القادسية) التي فتحت للعرب المسلمين أبواب العراق والأهواز ، ومعركة (بابليون) التي فتحت لهم أبواب مصر وليبيا والنوبة ، ومعركة (نهاوند) التي فتحت لهم أبواب إيران كلها ... كل هذا الفتح العظيم أنجز خلال عشر سنوات من سنة ثلاث عشرة هجرية (٦٣٣ م) الى سنة ثلاث وعشرين هجرية (٦٤٣ م) ، فقد قبض أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد مغيب الشمس من مساء الاثنين لاحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى

(١) الفاروق عمر (٢/٢٠٠) .

الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة [1] فتولى عمر الخلافة ، وتوفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية [2] ، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام [3] .

في هذه المدة القصيرة ، فتح عمر كل هذه الفتوح ، فلا عجب أن يذهل هذا الفتح عالم يومئذٍ ويدهش المؤرخين الذين فصّلوا حوادثه وحاولوا استقصاء أسبابه ، فذكروا أن من هذه الاسباب : العقيدة الإسلامية التي رفعت نفسية ومعنويات المسلمين ، وانحلال الفرس والروم ، ونظام الحكم في شبه الجزيرة الذي تطوّر خلال السنوات العشرين التي تلت هجرة الرسول ﷺ تطوراً مكّن الأمة العربية من مواجهة تلك الأحداث التاريخية الجليلة في طمأنينة زادتها اعتزازاً بنفسها وشعوراً بقوّتها وإيماناً برسالتها العالمية [4] .

فاذا أسرع الفتح ما أسرع في عهد عمر ، فيجب أن يكون له تأثير شخصي على الجيوش الاسلامية : في تنظيمها وتسليحها وتدريبها وإدارتها وقيادتها ، وذلك ما لم يبحثه الباحثون من الناحية العسكرية الفنية بشكل متكامل حتى اليوم .

كانت سياسة عمر أن يقف بالفتح في حدود العراق والشام لا يتعداها ،

---

(١) الفاروق عمر (٩١/١) . وفي العبر (١٦/١) انه توفي لثمان بقين من ذي القعدة . اما في شذرات الذهب (٢٤/١) فجاء : انه توفي في جمادى الاخرة . وانظر البدء والتاريخ (١٦٧/٥) .

(٢) ابن الاثير (٢٠/٣) والطبري (٢٦٥/٣) واليعقوبي (١٣٧/٢) . أما أبو الفدا (١٦٥/١) فيذكر أنه توفي سنة أربع وعشرين وهذا خطأ لاجماع اوثق المصادر على أن وفاته كانت سنة ثلاث وعشرين .

(٣) ابن الاثير (٢٠/٣) .

(٤) انظر الفاروق عمر (٢٠٠/٢) .

وأن يجمع العرب بذلك في وحدة تمتد من جنوب شبه الجزيرة العربية الى شمال بادية (السماوة)، لذلك كتب الى سعد بن أبي وقّاص بعد فتح المدائن حين بعث يستأذنه في مطاردة الفرس وراء جبلهم: «وَدِدت لو أنّ بين السواد والجبل سداً لا يخلُصون الينا ولا نخلُص اليهم! حسبنا من الريف السواد. إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال»[1]. وقال لما فتحت الأهواز وما يليها: «وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا نصل اليهم منه ولا يصلون الينا»[2].

على أن الحوادث كثيراً ما تكون أقوى من الرجال، وكثيراً ما حملتهم على تعديل اتجاههم وتغيير سياستهم، وقد حملت الحوادث عمر على تعديل سياسته بأزاء الفرس وبأزاء الروم على كره منه بادىء الأمر، ثم ملأته حماسةً للسياسة الجديدة، بعد أن حالف النجاح هذه السياسة الى مدى لم يتوقعه الخليفة ولم يتوقعه أحدٌ غيره[3].

ولكن هذا النجاح كان بفضل قيادة عمر الفذّة بالاضافة الى العوامل الأخرى، تلك القيادة التي امتازت بميزتين ظاهرتين: الأولى مقدرته المدهشة على اختيار القادة العامين والقادة المرؤسين، والثانية قابليته الموهوبة والمكتسبة على القيادة العليا والقيادة التعبوية أيضاً، فكيف كان ذلك ؟؟

اختيار القادة

ما هي المزايا التي كان يريد عمر أن تتوفر في القائد الذي يُؤَمِّرُه على جيوش المسلمين ؟

---

(١) ابن الاثير (٢/٢٠١).
(٢) ابن الاثير (٢/٢٠٨).
(٣) الفاروق عمر (٢/١).

١ - أن يكون القائد صحابيـــا ، لأنهم كانوا لا يؤمّرون في الفتوح إلا الصحابة [١] ، فكان عمر لا يولّي إلا الصحابة ولا يرضى أبداً أن يعمل صحابي بإمرة غير صحابي [٢] .

فقد كان للصحابة بصورة عامة تجارب طويلة مفيدة في القتـال تحت لواء الرسول القائد ، اقتبسوا خلالها أعلى وأسمى ضروب التضحية والفداء وأنبل وأرفع آداب الحرب والسلام .

فقد كان الصحابة يقدمون ببسالة على خوض المعارك ، لذلك كان القتل فيهم أكثر من غيرهم : كان القتل في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منهم في أهل البوادي وذلك في معركة اليمامة بين المسلمين وعلى رأسهم خالد ابن الوليد وبين المرتدين وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار في هذه المعركة من المدينة ثلاثمائة وستون ومن المهاجرين والأنصار من غير المدينة ثلاثمائة رجل [٣] ، وقد أمر أبو بكر الصديق بجمع القرآن لما رأى من كثرة من قُتل من الصحابة لئلا يذهب القرآن [٤] .

وعند مسير خالد بن الوليد من العراق إلى أرض الشام ، أمره أبو بكر الصديق أن يأخذ معه نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيباني ، فاحضر خالد أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معـه واستأثر بهم لنفسه تاركاً للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول القائد صحبة ، واستأثر أيضاً لنفسه بمن كان قدم على النبي ﷺ وافداً تاركاً للمثنى

---

(١) الاصابة (٢/١٩٤) و (٤/٢٣٥) و (١/٣٠٩) .

(٢) قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٠) .

(٣) ابن الاثير (٢/١٣٩) .

(٤) ابن الاثير (٢/١٤٠) وانظر مقدمة كتاب المصاحف (٥) .

ابن حارثة الشيباني مثل عددهم من أهل القناعة، ثم قسّم سائر الجندقسمين ، فلما رأى المثنى صنع خالد غضب وقال : « والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر ! وبالله ما أرجو النصر إلاّ بأصحاب النبي ﷺ » ، فلما رأى خالد ذلك أرضاه [1] .

لقد أمدّ رسول الله ﷺ أصحابه بنفحة منه ، وكان دائماً أسوة حسنة لهم يقتفون آثاره ويهتدون بهديه ولا يحيدون عن تعاليمه أبداً ، فكانوا يتسابقون الى الموت ويحرصون على الاستشهاد .

٢ – وكان عمر يفضّل السابقين الأولين من الصحابة على غيرهم إلا ان يقصّر بهم عملهم ، فكان يفضّل عليهم حينذاك من برز بأعماله .

فقد كان أول ما عمل عمر بعد موت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني الى أهل فارس ، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها أبو بكر ، ثم أصبح فبايعه الناس ، فعاد فندب الناس لقتال الفرس .

وتتابع الناس على البيعة في ثلاثة أيام ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد الى فارس ، وكان وجه فارس من اكره الوجوه اليهم وأثقلها عليهم ، لشدّة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم ، فلما كان اليوم الرابع ، عاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيدة بن مسعود [2]ثم ثنى سعد بن عبيد [3] ، وسُليط بن قيس [4] ؛ فلما تكامل حشد ذلك البعث ، قال قائل

---

(١) ابن الاثير (٢/١٥٦) والطبري (٢/٦٠٥) واليعقوبي (٢/١١٢) .

(٢) انظر قصة حياته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢١٢ – ٢٢٠) .

(٣) انظر ترجمته في هامش ص (٢١٣) من كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة الفقرة (١).

(٤) انظر ترجمته في هامش ص (٢١٣) من كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة الفقرة(٢).

لعمر : « أمّر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والانصار » ؛ فقال عمر : « لا والله ! لا افعل . إنما رفعكم الله بسيفكم وسرعتكم الى العدو ، فاذا جبنتم وكرهتم اللقاء ، فأولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع وأجاب الى الدعاء . والله لا أؤمّر عليهم إلا أولهم انتداباً [1] » . ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً فقال مخاطباً سعداً وسليطاً : « أما انكما لو سبقتماه لوليتكما » ، ثم قال لأبي عبيد : « اسمع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد حتى تتبيّن ، فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث [2] الذي يعرف الفرصة والكف [3] » .

٣ - وكان عمر يفضل ان يكون القائد مكيثاً غير متهوّر يعرف الفرص وينتهزها ويعرف كيف ومتى يقاتل ومتى يكف عن القتال [4] . قال عمر لسُليط : « لولا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكيث [5] » .

٤ - وكان عمر يريد ان يكون القائد قوياً مسيطراً ذا شخصية نافذة ، فاذا وجد رجلاً أقوى من رجل فضّل الأقوى على القوي ، فقد استعمل معاوية بن ابي سفيان على الشام وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس فقال : « إني لم اعزله عن سخطة ، ولكني اريد رجلاً أقوى من رجل » [6] ؛ وكان يقول : « اني لأتحرج أن استعمل الرجل وأنا أجد

---

(١) الطبري (٢/٦٣١) وابن الاثير (٢/١٦٦) وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٦٧).
(٢) المكيث : الرزين المتأني جمعها مكثاء . انظر المعجم الوسيط (٢/٨٨٧) .
(٣) الطبري (٢/٦٣١) .
(٤) انظر ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٥) البلاذري (٢٥١) .
(٦) ابن الأثير (٢/٢١٧) .

اقوى منه »[1] .

٥ – وكان يريد القائد شجاعاً رامياً ، فحين وجّه سعد بن ابي وقاص الى العراق قائداً عاماً ، قال : « إنه رجل شجاع رامٍ »[2] .

٦ – وكان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين ، أمرَ عليهم اميراً من اهل العلم والفقه[3] . ولا يرضى ان يؤمّر أهل الوَبَر على أهل المدر[4] ، فقد قال عمر لعتبة بن غزوان[5]: « من استعملت على اهل البصرة؟ » فقال: « مجاشع بن مسعود »، قال :« تستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل للدر ؟»

تلك هي المزايا التي كان يريد عمر توفرها في القائد : ماضٍ ناصح مجيد في الحرب وفي خدمة الاسلام ، له تجربة عملية في القتال ، مكيث غير متهور يعرف الفرص ويدرك الوقت والمكان المناسبين لنشوب القتال والكفّ عنه ، قوي الشخصية مسيطرٌ على رجاله ، شجاع رام ، عالم فقيه ، وتلك هي نفس المزايا التي يلاحظها علماء فن الحرب قديما[6] وحديثاً[7] .

لقد كان عمر يسأل نفسه : ما هو الواجب المطلوب إنجازه ؟ ثم يسأل نفسه : من هو الشخص المناسب لانجاز هذا الواجب على خير وجه؟ ثم يستشير

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥) .

(٢) البلاذري (٢٥٥) .

(٣) ابن الأثير (٣/١٩) .

(٤) الوبر : بفتحتين للبعير واحدها وبره ، والحضر اهل المدن . والمعنى : استعمل اعرابياً على حضري ؟

(٥) ابن الاثير (٢/١٨٩) .

(٦) انظر : مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٧) والأحكام السلطانية للماوردي (٦) .

(٧) انظر : الرسول القائد (٢٩٩ – ٢٣٠) .

الناس في الامر ، ويقرر بعد ذلك على هدى وبصيرة خضوعاً للمصلحة العامة وحدها .

لذلك نجح قادة عمر في مهمة قيادة الجيوش الاسلامية نجاحاً كان ولا يزال وسيبقى اعجوبة من اعاجيب تاريخ الحرب .

قيادة عمر

الشورى

ملاك النظم الحكومية كلها نظام الشورى الذي أقامه عمر على أحسن ما يقام عليه في زمانه ، فجمع عنده نخبة من الصحابة للمشاورة والاستفتاء، وضنّ بهم على العمالة في أطراف الدولة تنزيهاً لأقدارهم وانتفاعاً برأيهم واعتزازاً بتأييدهم له ومعاونتهم إياه ، فقد قيل له : ما لك لا تولي الأكابر من أصحاب رسول الله عليه السلام ؟ » فقال : « أكره أن أدنّسهم بالعمل » [1] .

جعل موسم الحج موسماً عاماً للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في أقطار الدولة من أقصاها الى أقصاها : يفد فيه الولاة والعمال لعرض حسابهم وأخبار ولايتهم ويفد فيه أصحاب المظالم والشكايات لبسط ما يشكيهم، ويفد فيه الرقباء الذين كان يبثهم في انحاء البلاد لمراقبة الولاة والعمال .

كان عمر يستشير جميع هؤلاء ويُشير عليهم ، ويستمع لهم ويُسمعهم ، ويتوخىّ في جميع ذلك تمحيص الرأي وابراء الذمة والخلوص الى التبعة السليمة من العقابيل [2] .

كانت الشورى عنده مبدأ لا يحيدُ عنه للأغراض السلمية والحربية على

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٨٣) .
(٢) عبقرية عمر (١٥٠ - ١٥١) .

حد سواء .

علم عمر باجتماع الفرس على (يزدجرد) ، فكتب عمر الى المثنى بن حارثة الشيباني ومن معه من المسلمين بالخروج من بين العجم والتفرّق في المياه التي تلي العجم . واجتمع الناس الى عمر فخرج من المدينة حتى نزل على مـــاء يدعى (ضرار) فعسكر به ولا يدري أحد ما يريد : أيسير أم يقيم ! وأحضر عمر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق ، فقال العامة : « سر وسر بنا معك » ، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله ﷺ وأرسل الى علي ابن ابي طالب وكان استخلفه على المدينة، والى طلحة وكان على المقدمة فرجع، والى الزبير وعبدالرحمن وكانا على الجنبتين، ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويرميه بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح ، والا أعاد رجلاً وبعث آخر ، ففي ذلـــك غيظ العدو ، فجمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، فأشيروا عليّ برجل »[1] . وأخيراً استقر الرأي على تولية سعد بن ابي وقاص[2] .

وكان عمر لا يوافق على انسياح الجيش الأسلامي في بلاد فارس ، ويتمنى أن يكون بين العرب وبين بلاد العجم جبل من نار لا يخلصون منه الى البلاد العربية ، ولا يخلص العرب منه الى بلاد الفرس .

واستشار عمر أهل الرأي في ذلك، وكان ممن استشارهم الأحنف بن قيس

---

(١) ابن الاثير (٢ / ١٧٢ - ١٧٣) ، وانظر تفاصيل ذلـــك في : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٣١ - ٢٣٢) .

(٢) انظر الطبري (٣ / ٤) ومروج الذهب على هامش ابن الاثير (٥ / ١١٦) وتاريخ عمر بن الخطاب (٧٦) . وانظر البلاذري (٢٥٥) .

التميمي (والهرمزان) ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين ! انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وانّ ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم ، وأنّ ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هـذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجـاء أهل فارس » ، فقال عمر : « صدقني والله » ، وأذن في الانسياح في بلاد فارس [1] .

وعندما حشد الفرس جيوشهم في (نَهاوند) حتى بلغ عدد الجند مائة وخمسين ألفاً بأمرة (الفيرزان) [2] ، أخبر سعدُ بن أبي وقاص عمرَ بهذا التحشد الفارسي العظيم ، فقرّر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة الموقف هناك ، ولكن أصحاب الشورى وعلى رأسهم علي بن ابي طالب نصحوه ان يبقى في المدينة المنورة ويرسل قائداً يعتمد عليـه ليفرق شمل القوات الفارسية [3] .

لقد كان عمر يؤمن ايماناً عميقاً بالشورى..حتى الخلافة جعلها شورى بين الرجـال الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ [4] ، ولم يول رجلاً بعينه ...

وبلغ به ايمانه القاطع بالشورى انه كان يستشير حتى العدو الذي لا يأمنه، كما فعل في سماع رأي (الهرمزان) في أمر الحرب الفارسية [5] ، بل انه كان

---

(١) الطبري (٣ / ١٨٤ - ١٨٥) وابن الاثير (٢ / ٢١٣) .
(٢) ابن الاثير (٣ / ٣) .
(٣) الطبري (٣/٢١٢) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣/٣٣٦) .
(٥) انظر عبقرية عمر (١٥٢) .

يدعو حتى الأحداث يستشيرهم لحدّة عقولهم[1]، وعمر هو القائل في المشورة: « الرأي الفرد كالخيط السَّحِيل [2] ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مِرارٌ [3] لا يكاد ينتقض » [4] .

ان القائد الذي يحسن فن الاستشارة ، تكون قراراته غالباً أقرب الى الكمال .

المعلومات

كان عمر يحرص على الحصول على المعلومات من الوافدين عليه ومن القادة والأمراء وأفراد الناس الذين يحضرون الحج ومن منابع المعلومات الاخرى .

كان يطالب قادته دائماً باطلاعه على تفاصيل المعلومات عن العدو وعن الارض التي يقاتلون عليها. كتب الى سعد بن أبي وقاص قبيل القادسية يقول: « ... اكتب اليّ أين بلغك جمهم ومن يلي مصادمتكم ، فانه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلّة علمي بما هجمتم عليه والذي استقرّ عليه أمر عدوّكم ، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها ، واجعلني من أمركم على الجليّة ... » ، فكتب اليه سعد يذكر تفاصيل دقيقة عن طبيعة الارض وعن العدو وقائده [5] ...

والذين يقرأون رسالة عمر الى سعد وجواب سعد من العسكريين المختصين

---

(١) انظر عبقرية عمر (١٥٢) .

(٢) السحيل : الثوب لا يبرم غزله . انظر المعجم الوسيط (٤٢٢/١) .

(٣) مرار : جمع مرة ، وهي الفتلة الواحدة . انظر ترتيب القاموس المحيط (٢٠١/٤) .

(٤) انظر عبقرية عمر (٣٠٤) .

(٥) الطبري (١١/٣) .

لا يسعهم إلا ان يبدوا اعجابهم الشديد بهاتين الرسالتين ، فلن يستطيع قائد أعلى في القرن العشرين بعد أن أصبحت الدراسات العسكرية دراسات أكاديمية أن يكون أكثر دقّة من عمر في رسالته هذه ، ولن يستطيع قائد عام من ضباط الركن اللامعين أن يكتب تفاصيل أدقّ وأوفى من رسالة سعد ابن ابي وقاص .

وكان جواب عمر على رسالة سعد هذه : « جاءني كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغض [1] الله لك عدوك ، واعلم أن لها ما بعدها ، فان منحك الله أدبارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم المدائن، فانه خرابها ان شاء الله[2]».

لقد كان عمر يُحيط علماً بتفاصيل ودقائق المعلومات عن جيوشه وعن جيوش عدوه وعن طبيعة الارض ، فكان يُصدر قراراته العسكرية على هدى وبصيرة .

الحرص

كان عمر يحرص غاية الحرص على مصائر جيوشه ، فقد كان يخشى الله أن يسأله عن كل اهمال يؤدي الى ضياع الأرواح ، كما أن تكوينه الطبيعي وخلقه ونفسيته كانت نموذجاً رفيعاً للحرص على مصائر الناس .

كان عمر يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فاذا اجتمعوا قال : « أيها الناس! اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم : انما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فعل به غير ذلك ، فَلْيَقم»

---

(١) نغض : نغض الشيء نغضاً ونغضاناً ، تحرك في ارتجاف واضطراب . ويقال : نغضوا الى العدو أي نهضوا . انظر المعجم الوسيط (٢/٥٩٤) .

(٢) الطبري (٣/١٢) .

فما قام أحد الا رجل واحد فقال: «يا أمير المؤمنين ان عاملك ضربني مئة سوط» ، قال : « فيمَ ضربته ، قم فاقتص منه » ، فقام عمر بن العاص فقال: « يا أمير المؤمنين ! انك ان فعلتَ يَكْثُرُ عليك ويكون سنة ، يأخذ بها من بعدك » ، فقال : « أنا لا أُقِيْدُ ؟ ! وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه ! » ، قال : « فدعنا فلنُرْضِه » ، فقال : « دونكم فأرضوه » ، فافتدى منه بمائتي دينار ، كل سوط بدينارين[1] ..

وقال مرة : «فوالله ما استطيع أن أصلي وما أستطيع أن أرقد ، واني لأفتح السورة فما أدري في أولها أنا أو في آخرها ... من همي بالناس منذ جاءني هذا الخبر» [2] . أي منذ توليت أمرهم .

وبعث عمر بن الخطاب جرير بن عبدالله البجلي [3] على الجيش ، فسقطت رِجْلُ رَجُلٍ من المسلمين من البرد ، فبلغ عمر فأرسل اليه : « يا جرير مستمعاً . انه من يسمع يسمع الله به » ، يعني انك خرجت في البرد ليقال : قد غزا في البرد[4] .

وخرج عمر ذات يوم الى سوق المدينة ، فجاء رجل فجعل ينادي : « يا عمراه يا عمراه! » ، فنادى عمر : « يا لبيكاه ! » ، ثم سأله عن خبره ، فقيل له : « ان عاملا من عمالك أمر رجلا أن ينزل في وادٍ ينظر عمقه ، فقال الرجل : اني اخاف . فعزم عليه فنزل . فلما خرج كزّ [5] فمات » ،

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي (٥٢) .

(٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٢٤ - ٣٣٩) .

(٤) تاريخ عمر لابن الجوزي (٨٨).

(٥) كزّ : يبس وانقبض من البرد . انظر المعجم الوسيط (٢/٧٩٢) .

فبعث عمر الى الوالي : « أما لولا اني اخاف أن تكون سُنّة بعدي لضربت عنقك ، ولكن لا تبرح حتى تؤدي ديته . والله لا اوليك أبداً »[1] .

وكتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر ، فذكر جموعاً من الروم وشدّة ، فكان يوقظ أحد أصحابه فيقول : «قم فصل ، فاني لأقوم فأصلي واضطجع فما يأتيني النوم»[2] .

وكان عمر يخلف الغزاة في أهليهم[3] فيقوم على أمرهم كله . وكان يقدّر المجاهدين حق قدرهم ويكبر المضحين منهم أعظم الأكبار . قال عبدالله بن عمر: « بينا الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ، فرفع رأسه فنظر الى رجل في وجهه ضربة ، فسأله فأخبر به أنه اصابته في غزاة كان فيها ، فقال : عدّوا له الفاً ، فأعطى الرجل الف درهم . ثم قال : عدوا له ألفاً ، فأعطى له الف أخرى . ثم قال له ذلك أربع مرات ، كل مرة يعطيه الف درهم ، فاستحى الرجل من كثرة ما أعطي فخرج . فسأل عنه ، فقيل له . انا رأينا انه استحى من كثرة ما تعطيه فخرج . فقال : أما والله لو انه مكث ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم : رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه »[4] .

ولم يقتصر حرصه على المسلمين فقط ، بل شمل حتى المرتد عن الاسلام ، فلما أتى بفتح (تُستَر)[5] ، فقال : « هل كان شيء ؟» ،

---

(١) تاريخ عمر (٥٥) .

(٢) تاريخ عمر (٥٥) .

(٣) تاريخ عمر (٤٧) .

(٤) تاريخ عمر (٥٢ - ٥٣) .

(٥) تستر : اعظم مدينة بخوزستان، وهي تعريب شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٨٦)والمسالك والممالك(٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٧٠) وتقويم البلدان(٣١٤).

فقالوا : « نعم . رجل من المسلمين ارتدّ عن الاسلام » ، فقال : « فما صنعتم به ؟ » ، فقالوا : « قتلناه » ، فقال : « فهلا أدخلتموه بيتاً وأغلقتم عليه باباً ، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً فاستتبتموه ، فان تاب والا قتلتموه ؟ ! اللهم اني لم أشهد ، ولم آمر ، ولم أرضَ اذ بلغني » [1].

بل شمل حرصه حتى الحيوانات . قال الأحنف بن قيس التميمي : « وفدنا الى عمر بفتح عظيم ، فقال : أين نزلتم ؟ فقلت : في مكان كذا . فقام معي حتى انتهينا الى مناخ ركائبنا ، فجعل يتخللها ببصره ويقول : ألا اتقيتم الله في ركائبكم هذه ؟؟ ألا علمتم أن لها عليكم حقاً ؟؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض ؟؟ » .

لقد كان عمر اذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من الأنصار ، أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين . وكان يكتب الى أمراء الأمصار : « بأن لكم معاشر الولاة حقاً على الرعية ولهم مثل ذلك ، فأنه ليس من حلم أحب الى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم امام ورفقه ، وأنه ليس جهل ابغض الى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل امام وخرقه ، وانه من يطلب العافية فيمن بين ظهرانيه ينزل الله عليه العافية من فوقه » [3].

وعلم عمر أن حُرْقُوص بن زهير التميمي السعدي نزل جبل الأهواز وكان يشقّ على الناس الاختلاف اليه ، فكتب اليه يأمره بنزول السهل وأن : « لا تشق على مسلم ولا معاهد ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدّر دنياك وتذهب

---

(١) تاريخ عمر (٥٥) .

(٢) تاريخ عمر (٨٣) .

(٣) تاريخ عمر (٨٥) .

آخرتك » [1] .

وأنشأ سعد بن ابي وقاص لسكناه داراً في الكوفة ، وكانت الأسواق قريبة من داره ، وكانت الأصوات المرتفعة تمنع سعداً الحديث فلما أنجز هذا البناء ادّعى الناس عليه ما لم يقل ، فقالوا : « قال سعد : سكّن عني الصُوَيْت » [2] . وبلغ عمر ذلك عن دار سعد ، وأن الناس يسمونه : قصر سعد ؛ فدعا محمد بن مَسْلَمَة [3] وأرسله الى الكوفة وقال : « أعمد الى القصر حتى تحرق بابه ، ثم ارجع عودك على بدئك » . فخرج حتى قدم الكوفة ، فاشترى حطباً ثم أتي به القصر ، فأحرق الباب [4] .

كان عمر يقول : «ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم[5]» فكان يطعم الناس الطيب ويأكل الغليظ ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ، وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم [6] ، وكان يأكل مع القوم كما يأكلون [7] . اتي عمر بخبز مفتوت بسمن عام الرمادة ، فدعا رجلاً بدوياً فجعل يأكل معه . فجعل البدويّ يتبع باللقمة الوَدَك [8] في جانب الصّحفة ، فقال له عمر : « كأنك مُقفر من الودك ! » ، فقال : « أجل ما أكلت سمناً ولا زيتاً ولا رأيت أكلاً له منذ كذا وكذا الى اليوم » ، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا

---

(١) ابن الاثير (٢/٢١١) .

(٢) الطبري (٣/١٥٠) .

(٣) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٦) في الهامش برقم (٣) .

(٤) الطبري (٣/١٥٠) .

(٥) طبقات لبن سعد (٣/٢٩٢) .

(٦) تاريخ عمر (٥٦) .

(٧) طبقات ابن سعد (٣/٣١٢) .

(٨) الودك: الدسم أو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه. انظر المعجم الوسيط (٢/١٠٣٣) .

سمناً حتى يحيا النـاس أول ما أحيوا [١] . وقد تغيّر لونه عام الرمادة حين أكل الزيت ، فكان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن ، فلما أمحل الناس حرّمها على نفسه فأكل الزيت حتى غيّر لونه وجاع فأكثر [٢] .

قـال عمر : « من استعمل رجلاً لمودّة أو لقرابة لا يُشغله الا ذاك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . وقال : « من استعمل فاجراً وهو يعـلم أنه فاجر ، فهو مثله » [٣] .

وقال عمر ، « أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغني مظلمته فـلم أغيّرها ، فأنا ظلمته » [٤] .

ان عمر قبل أن يضع دستوراً للولاة والامراء وضـع دستوراً لنفسه قوامه : أن الحكم محنة للحاكم ومحنة للمحكومين ، وأنه « لا يصلح الا بشدّة لا جبرية فيها ولين ولا وهن فيه » ، وأن الخليفة مسؤول عن ولاتـه واحداً واحداً في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يعفيـه من اللوم أنه أحسن الاختيار . قال يوماً لمن حوله : « أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعـلم ثم أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ما عليّ ؟ » ، فقالوا : نعم ! . قال : « لا ، حتى انظر في عمله ، أعمل بما أمرته أم لا ! » [٥] .

لقد بلغ من حرصه على أرواح المسلمين أنه لم يوافق على الانسياح في بلاد العجم الا في الوقت المناسب وبعد تأكدّه من ضرورة الانـسياح الملحّة . كما لم

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٣١٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٢٢٤) .

(٣) تاريخ عمر (٥٦) .

(٤) تاريخ عمر (٨٧) .

(٥) عبقرية عمر (١٥٨) .

يوافق على ركوب البحر وعاقب العلاء بن الحضرمي على ركوبه خلافاً لأوامره الصريحة [١] .. وقد كان معاوية لجّ على عمر في غزو البحر ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص: « صف لي البحر وراكبه » فكتب اليه عمرو بن العاص: « اني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء . ان ركد خرق القلوب ، وان تحرّك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قِلّة والشك فيه كثرة هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا برق » ، فلما قرأه كتب الى معاوية : « والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ، لا أحمل فيه مسلماً أبداً ... فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ، وبالله لمسلم أحبّ مما حوت الروم ، واياك أن تعرض اليّ ، فقد علمت ما لقي العلاء مني » [٢] .

وكان حين يتوقع اصطدام جيوشه بالعدو ، يعيش في دوّامة من القلق والاضطراب من شدّة حرصه على مصائر المسلمين . قال السائب بن الأقرع الثقفي : « ... وقدمت على عمر ، وكان قد قدّر الوقعة فبات يتململ ويخرج ويتوقع الأخبار ... فخرج عمر من الغد يتوقّع الأخبار ، فأتيته فقال : «ما وراءك ؟ فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ، فتح الله عليك وأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مُقَرّن ، فقال عمر : انا لله وانا اليه راجعون . . ثم بكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه ... فلما رأيت ذلك وما لقي : قلت ، يا أمير المؤمنين ! ما أصيب بعده رجل تعرف وجهه . فقال : أولئك المستضعفون من المسلمين ، ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم ، وما يصنع أولئك بمعرفة عمر ؟؟! [٣] .

---

(١) الطبري (٣/١٧٨) .

(٢) ابن الاثير (٣/٣٦) وانظر البلاذري (١٥٧) .

(٣) ابن الاثير (٣/٦) وانظر الخراج (٤١) .

وقصة عمر حين كان يخطب بالمدينة خطبة الجمعة ، فالتفت من الخطبة فنادى : « يا سارية [1] الجبل ... الجبل ! ومن استرعى الذئب ظـــلم » ، فلم يفهم السامعون مراده .

وقضى عمر صلاته ، فسأله علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ما هذا الذي ناديت به ؟ » ، قال : « أوَ سمعته ؟ » فقال : نعم ، أنا وكل من في المسجد ، فقال : « وقع في خلدي انّ المشركين هزموا اخواننا وركبوا أكتافهم وانهم يمرّون بجبل فأن عدلوا اليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، إن جاوزوه هلكوا ، فخرج مني هذا الكلام » .

وجاء البشير بعد شهر ، فذكر انهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول : « يا سارية الجبل ... الجبل ! » فعدلنا اليه ، ففتح الله علينا [2] .

لقد كان عمر في حرصه نسيج وحده ... انه كان لا ينام ولا ينيم حرصاً على مصائر المسلمين .

الفطنة وبعد النظر

قال رسول الله ﷺ : « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي منهم أحـــد ، فان عمر بن الخطاب منهم » ، والمحدثون هم

---

(١) ذكر العقاد في كتابه : عبقرية عمر (٣١) : انه سارية بن حصن . والحقيقة انه سارية ابن زنيم الكناني وانظر الاصابة (٣/٥٢) وأسد الغابة(٢/٢٤٤) وتهذيب ابن عساكر(٦/٤٣).

(٢) انظر الطبري (٣/٢٥٤) وابن الاثير (٣/١٦) . وانظر ما جاء عن هذه القصة في ترجمة سارية الواردة في الجزء الثالث من كتاب قادة الفتح الاسلامي ، وانظر العددين (٤٩٣ و ٤٩٥) من مجلة الرسالة المصرية عن : (التلباثي Telepathy) للاستاذ العقاد وكتاب عبقرية عمر (٣١ - ٣٢) وكتاب الفاروق عمر (٢/٥١) .

الملهمون [1]

وقال عبد الله بن مسعود : « لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفة ، لرجح علم عمر بعلمهم ، وقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم [2] . وقال حذيفة بن اليمان : « كأن علم الناس كان مدسوساً في حجر عمر » . وقالت عائشة أم المؤمنين : « كان والله احوذياً نسيج وحده [3] .

لقد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن ، وما قال الناس في شيء وقال فيه عمر ، الا جاء القرآن بنحو مـا يقول عمر : قال : « يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى ، فنزلت : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) ، وقال : يا رسول الله! يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن يحتجبن» ، فنزلت آية الحجاب . واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة، فقال عمر : « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن » ، فنزلت آية كذلك . ونزل القرآن في موافقته بأسرى بدر وفي الخمر ، فقد قال : « اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها [4] .

وكان أول من كتب التاريخ من الهجرة وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من حرّم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من مسح السواد ، وأول من احتبس صدقة في الاسلام ،

---

(١) تاريخ الخلفاء (٣٨) وانظر تاريخ عمر (١٣ - ١٤) .

(٢) شرح الامام النووي على صحيح مسلم (٥/١٥٠) وفتح الباري بشرح البخاري (٧/٤٠ - ٤١) .

(٣) اخرجه الطبراني في الكبير والحاكم . انظر تاريخ الخلفاء (٨١) .

(٤) تاريخ الخلفاء (٨١) .

وأول من استقضى القضاة في الامصار وأول من مصّر الامصار : الكوفـة والبصرة ، وهو الذي اتخذ دار الدقيق فجعل فيـه الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه يعين به المنقطع ، وهو الذي وضع فـيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به ، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز الى الشام واخرج أهل نجران الى الكوفة [1] .

وكانت له فراسة عجيبة نادرة يعتمد عليهـا ويرى أن : « من لم ينفعه ظنه ، لم تنفعه عينه » ، وتـُروى له روايات في أمر هذه الفراسة قد يصدّق منها القليل وتتسرّب المبالغة الى الكثير ، ولكنهـا على كلتا الحالتين تنبئنا بحقيقة لا شك فيها ، وهي انـه اشتهر بالفراسة وحبّ التفرس والاستنباط بالنظرة العارضة [2] .

روى سالم عن أبيه قال : « ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط اني لأظنه كذا ، الا كان كما يظن ، بينما عمر جالس اذ مرّ بـه رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظني أو ان هذا على دينه في الجاهلية ، أو قد كان كاهنهم ، عليّ الرجل ، فدُعي له ، فقال له : لقد أخطأ ظني أو انك لعلى دينك في الجاهلية ، أو لقد كنت كاهنهم في الجاهلية . فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم . فقال : اني أعزم عليك ! الا ما أخبرتني ! قال : كنت كاهنهم في الجاهلية » [3] .

وكان عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية يذكران مصاب أهل بدر ، فقال صفوان : « والله ما ان في العيش بعدهم خير » ، فقال عمير : صدقت

---

(١) تاريخ الخلفاء (٩٣) .

(٢) عبقرية عمر (٢٧) .

(٣) تيسير الوصول (٣/٢٦٧) .

والله أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضّيعة بعدي ، لركبت الى محمد حتى أقتله ، فإن لي قبلَهم عِلّة : ابني أسير في ايديهم » فاغتنمها صفوان وقال : « عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، ولا يسعني شيء ويَعْجز عنهم » ،فقال عمير : « فاكتم شأني وشأنك» . ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذَ له [1] ، وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمر إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف ، فقال : « هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء الا لشر ، وهو الذي حرّش [2] بيننا وحزرنا [3] للقوم يوم بدر » ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : « يا نبي الله ! هذا عدوّ الله عمر بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه » ، قال : « فأدخله عليّ » ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّبَه بها ، وقال لرجل ممن كان معه من الأنصار : « ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا هذا الخبيث ، فانه غير مأمون »، ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ! أدن يا عمير » .

وجعل رسول الله ﷺ يسأل عميراً وهو يراوغ ، حتى ضاقت به منافذ الأنكار ، فباح بسرّه ، وأعلن الإسلام والتوبة [4] .

---

(١) شحذ له : أي أحد له . تقول : شحذت السكين اذا أحددتها .

(٢) حرش بيننا : أفسد . والتحريش : الافساد بين الناس واغراء بعضهم ببعض .

(٣) حزرنا : قدر عددنا . تقول : هم حزرة ألف ، تريد أنهم تقدير ألف .

(٤) سيرة ابن هشام (٣٠٧/٢ – ٣٠٨) .

هذه الفراسة وشبهاتها هي ضرب من استيحاء الغيب واستنباط الأسرار بالنظر الثاقب .

لقد كانت له فطنة الرجل العليم بنقائص الأخلاق وخبايا النفوس ، ولم يحكم عليه قط كأنه ينظر اليها من جانب واحد أو يطبعها في تفكيره بطابع واحد ، بل علم الدنيا وعلم كيف يتقلّب الانسان ، وراح في علمه هذا يراقب الناس مراقبة الحذر ، ويقيم عليهم الأرصاد اقامة الرجل الذي لا يفوته أن ينتظر منهم ما ينتظر من خير وشر وقوّة وضعف وصلاح وفساد . وكفى من كلماته الدالة عليه أن تذكر أنه كان يحبّ أن يعرف الشر كما يعرف الخير ، لأن الذي لا يعرف الشر أحرى أن يقع فيه » ، وهو القائل : « احترسوا من الناس بسوء الظن » [1] .

وقد عاشره أناس من الدهاة فخبروه وحذروه ! قال المغيرة بن شعبة لعمرو بن العاص : « أأنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً فيلقنه عنك ؟ والله ما رأيت عمر مستخلياً بأحد الا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل . كان عمر والله أعقل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع » .

انما كان عمر كما وصف نفسه : « ليس بالخب [2] ولكن الخب لا يخدعه »[3].

على أن القدرة الذهنية التي امتاز بها عمر في غنى عن الاستدلال عليها بما قال وما قيل فيه وما دار بينه وبين القوم من المساجلات والمحاورات . انه عمل ما لم يعمله الا القليل من أقدر الحكام في تاريخ بني الانسان وكفى بذلك

---

(١) عبقرية عمر (٦١) .

(٢) الخب : الخادع الغشاش .

(٣) عبقرية عمر (٦٢) وانظر العقد الفريد (٢/٦٨) .

دليلاً على قدرته الذهنية [1] .

لقد روى عن النبي ﷺ سبعة وثلاثين وخمسمائة حديث [2] وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة [3] ، وكان مجتهداً يقتدى بقوله وفعله [4] .

ولكن أعظم ما يدل على بعد نظره وحدّة ذكائه . - في ما أرى - ، هو : في تركه السواد غير مقسوم ووضعه الخراج عليه [5] وتركه أرض مصر غير مقسومة [6] ، أيضاً لتكون تلك الأرض للمسلمين كافة لا لأفراد منهم ، هذا اولاً ، وتدوين الدواوين [7] ثانياً وفكرته الملهمة في تقسيم المال فقد قال: « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسّمتها على الفقراء المهاجرين » [8] ثالثاً ، وكثرة فتوحاته رابعاً ، وحثّه أبا بكر الصديق على جمع القرآن الكريم خامساً ، فقد قال زيد بن ثابت : « أرسل اليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وكان عنده عمر ، فقال : ان هذا أتاني فقال : ان القتل قد استحرّ بالقرّاء ، واني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في سائر المواطن فيذهب القرآن ، وقد رأيت أن تجمعوه . فقلت لعمر :كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : هو والله خير! فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدره ، ورأيت فيه الذي رأى » [9] فجمع أبو بكر القرآن الكريم .

---

(١) عبقرية عمر (٦٤) .

(٢) اسماء الصحابة الرواة لابن حزم(٢٧٦)وانظر مسند الامام احمد بنحنبل(١/١٤/٥٥).

(٣) أصحاب الفتيامن الصحابة لابن حزم (٣١٩) .

(٤) انظر الرياض النضرة (١/٢٧٩ - ٢٨٠) .

(٥) انظر تاريخ عمر (٦٨) والخراج (٣٢ - ٤٦) .

(٦) فتوح مصر والمغرب (١٢٢) .

(٧) انظر الخراج(٤٩ - ٥٦) والبلاذري (٢٩٨ و ٤٣٥) وابن الاثير (٢/١٩٤-١٩٦).

(٨) المحلي لابن حزم (٦/١٥٨) .

(٩) كتاب المصاحف للسجستاني (٦) .

تلك انجازات مصيرية خالدة ، كل انجاز منها دليل قاطع على ذكاء خارق وبعد نظر فذ ، لذلك قال النبي ﷺ عن عمر : « ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر » [1] ، وقال : « ان الله جعل الحق على لسان عمر » [2] .

الشجاعة

كان النبي ﷺ مجتمعاً مع أصحابه في بيت الارقم بن ابي الارقم عند (الصفا) بمكة ومن بينهم عمه حمزة وابن عمه علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وغيرهم من سائر المسلمين فعرف عمر اجتماعهم فقصد اليهم يريد أن يقتل محمداً ﷺ كي تستريح قريش وتعود الى وحدتها . ولقي عمر نُعَيْم بن عبدالله في الطريق وعرف أمره فقال له : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض وقد قتلت محمداً ؟! أفلا ترجع الى أهل بيتك وتقيم أمرهم » ، وكانت فاطمة أخت عمر وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما . فلما عرف عمر أمرهما كرّ راجعاً اليهما ودخل البيت عليهما ، فاذا عندهما من يقرأ عليهما القرآن ، فلما أحسّوا دنوّ داخل عليهم اختفى القارىء واخفت فاطمة الصحيفة . وسأل عمر : « ما هذه الهينَمة التي سمعت ؟؟! » ، فلما أنكر صاح بهما : « لقد علمتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه » ، ثم وثب على ختنه فوطئه وطأً شديداً ، فجاءت أخته فدفعته فنفحها بيده نفحة فدمي وجهها [3] ؛ فقالت وهي

---

(١) الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (١٧) انظر مفتاح كنوز السنة (٣٥٧) .
(٢) الترمذي الكتاب (١٩) الباب (١٧) وابن ماجة . انظر مفتاح كنوز السنة(٣٥٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٢٦٨/٣) وسيرة ابن هشام (٣٦٤/١) – ٣٦٦) وتاريخ الخلفاء (٧٤ – ٧٨) وتاريخ عمر (٧ - ١٠) والرياض النضرة (٢٤٨/١ - ٢٥٨) وعيون الاثر (١٢١/١ - ١٢٦) والسيرة الحلبية (٣٦٧/١ - ٣٦٨) . وابن خلدون (٩/٢) وانظر الاستيعاب (١١٤٥/٣) .

غضبى : يا عمر ! ان كان الحق في غير دينك ؟ أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمداً رسول الله » ، فلما يئس عمر قال : « اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه . وقرأ عمر فتغيّر وجهه وأحسّ الندم على صنيعه ، ثم اهتزّ لما قرأ في الصحيفة وأخذه اعجازها وجلالها وسموّ الدعوة التي تدعو اليها ، فقال : « دُلوني على محمد ، فلما سمع خبّاب رجل من المهاجرين قول عمر خرج من مخبئه في الدار وقال : « أبشر يا عمر ! فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس : اللهم أعزّ الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل (الصفا) » ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى باب حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى حمزة وجَلَ القوم من عمر ، فقال : نعم ، فهذا عمر فأن يرد الله بعمر خيراً يُسْلِم ويتّبع النبي صلى الله عليه وسلم ، وان يُرد غير ذلك يكن قتله علينا هيّناً . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : « أما أنت منتهياً يا عمر حتى يُنزل الله بك من الخِزْي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعِزّ الدين بعمر بن الخطاب » ، فقال عمر : « أشهد أنك رسول الله » ، فأسلم وقال : « اخْرُج يا رسول الله » [1] .

وفَتّ اسلام عمر في عَضُد قريش ، لأن اسلام عمر عزّز المسلمين بعنصر جديد قوي غاية القوة .

ولما أسلم عمر قال أيُّ قريش أنقل للحديث ؟ » ، فقيل له : « جميل بن مَعْمَر الجُمَحي » ، فغدا عليه حتى جاءه ، فقال له : « أعلمت يا جميل أني

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٨ - ٢٦٩) وانظر حياة محمد (١٥٨ - ١٥٩) والفاروق عمر (١/٤١ - ٥٢) .

قد أسلمت ودخلت في دين محمد ؟ » ، فما راجعه جميل حتى قام يجرّ رداءه ، حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ؟ ألا ان عمر بن الخطاب قد صبأ » ، فقال عمر وكان خلفه « كذب ، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » . وثاروا اليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، فطَلح[1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا » [2] .

قال عمر : « لما أسلمت تلك الليلة ، تذكّرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتيه فأخبره اني قد أسلمت ، فقلت : أبو جهل ، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه ، فقال : مرحباً وأهلاً يا ابن أختي [3] ، ما جاء بك ؟ فقلت : جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدّقت بما جاء به ، فضرب الباب في وجهي وقال : قَبَحك الله وقَبَّح ما جئت به » [4] .

وبعد اسلامه ظهر الأسلام ودُعي اليه علانية ، وجلس المسلمون حول البيت حِلقاً وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم وردوا عليه بعض ما يأتي به [5] قال عبدالله بن مسعود : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » . وقال محمد بن عبيد : « لقد رأيتُنا وما أن نستطيع أن نصلي بالبيت حتى

---

(١) طلح : أي أعيا ، ومنه البعير الطليح ، ومنه قالوا : راكب الناقة طليحان ، أي هو والناقة طليحان ، أي متعبان قد جهدهما السير وأعياهما .

(٢) سيرة ابن هشام (١/٣٧٠) .

(٣) أم عمر هي حنتمة بنت هشام بن المغيرة .

(٤) سيرة ابن هشام (١/٣٧١) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٩) .

أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي »[1] . وقال عبدالله بن عباس : « أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب »[2] ، فقد قال عمر : « يارسول الله! ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟ » ، قال : « بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متّم وان حييتم » ، ففيم الاختفـــاء ؟! والذي بعثك بالحق لنخرجَنّ » ، فخرج المسلمون في صفين : في أحدهما حمزة وفي الآخر عمر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها ، فسمى النبي ﷺ عمر يومئذ الفاروق[3] .

وردّ عمر جوار خاله العاص بن هشام لأنه رأى المسلمين يُضربون وهو لا يُضرب ، فما زال يَضرب ويُضرب حتى أظهر الله الأسلام[4]

لقد أبدى عمر يوم اسلامه وبعده ضروباً من الشجاعة الخارقة التي قلّ أن تجد لها مثيلاً في تاريخ الشجاعة والفداء .

وأذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة الى المدينة ، فما هاجر منهم أحد الا مختفياً غير عمر . فانه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه وتنكّب قوسه[5] وانتضى في يده أسهماً[6] وأتى الكعبة والملأ من قريش بفنائها[7] ، فطاف بالبيت سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام متمكناً ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم : « شاهت الوجوه » لا يرغم الله إلا هـذه المعاطس[8] ، من أراد

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) .
(٢) تاريخ الخلفاء (٧٨) .
(٣) تاريخ عمر (٧) .
(٤) تاريخ عمر (٨) .
(٥) تنكب قوسه : القاه على منكبيه .
(٦) انتضى في يده أسهما : استلها من كنانته وتركها في يده .
(٧) الفناء : المتسع أمام الدار .
(٨) المعاطس : جمع معطس ، وهو الانف ، وارغامها : الصاقها بالرغام وهو التراب ، كني بذلك عن الاهانة والاذلال .

أن تثكله أمه وييتّم ولده وترمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي» ، فما تبعه أحد [1] !! .

وفي غزوة بـــدر الكبرى قتــل عمر خاله العاص بن هشام بن المغيرة [2] ، وبعد هذه المعركة جاءوا بالأسرى ، فقــال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء ؟ » ، فقــال أبو بكر : « يا رسول الله ! قومـــك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فديـة تكون لنا قوة على الكفار» .وقال عمر: «يا رسول الله ! كذّبوك وأخرجوك، قدّمهم نضرب أعناقهم : مكـّن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، ومكنّي من فلان (نسيب عمر) فأضرب عنقه ، فان هؤلاء أئمـــة الكفر » ، فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم . ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول ابي بكر ، وناس يأخذ بقول عمر ، فلما خرج رسول الله ﷺ قال : « ان الله تعـــالى ليليّن قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين ويشدّد قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال : (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : (ان تعذّبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم .) وان مثلك يا عمر مثل نوح قــال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ومثلك مثل موسى قال : (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) »، وقال رسول الله ﷺ : « أنتم اليوم عالة ، فلا يفلتن منهم أحد الا بفداء أو ضرب عنق » ، فنزل قول الله تعالى بموافقة عمر : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ،

---

(١) تاريخ الخلفاء (٧٨) والرياض النضرة (٢٥٨) وانظر رواية اخرى عن هجرته في طبقات ابن سعد (٣/٢٧١ - ٢٧٣) وتاريخ عمر (١٢) وسيرة ابن هشام (٢/٨٤ - ٨٨)

(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٧٧) .

والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما اخذتم عذاب عظيم) [١] . قال عمر بن الخطاب : فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان الغد ، جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان ، قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبكي للذي عرض على اصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة – لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنزل الله تعالى : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض – الى قوله – فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً) [٢]

وبعد غزوة (أُحُد) حين أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : « ان الحرب سِجَال [٣] ، يوم بيوم بدر ، أعل هُبَل [٤] !! » فقال رسول الله ﷺ : « قم يا عمر فأجبه » ، فقال : « الله أعلى وأجل ، ولا سواء : قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » . وفي رواية ، ان أبا سفيان وقف عليهم فقال : « أفيكم محمد ؟ » فقال ﷺ : « لا تجيبوه » ثم قال : « أفيكم محمد ؟ » فلم يجيبوه ، ثم قال الثالثة فلم يجيبوه ، ثم قال :

---

(١) الآيتان الكريمتان من سورة الانفال (٨ : ٦٦/٦٧) .

(٢) قوله : أسرى ، جمع أسير ، مثل قتلى وقتيل . وقوله ، حتى يثخن في الارض ، أي يبالغ في قتل المشركين وأسرهم . قوله : تريدون عرض الدنيا ، أي تريدون أيها المؤمنون أخذ الفداء وهذا عرض الدنيا . انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٩٣ - ٩٦) والبغوي بهامشه (٤ /٩٣ - ٩٥) والكشاف للزمخشري (٢ / ٢٠ - ٢١) وانوار التنزيل للبيضاوي(٣ / ٥٦ - ٥٧) وفي ظلال القرآن (١٠ / ٢٤ - ٢٧) .

(٣) الحرب سجال : نصرتها بينهم متداولة . انظر المعجم الوسيط (٢ / ٤١٩) .

(٤) هبل . أعظم الاصنام عند الكعبة ، انظر التفاصيل في كتاب الاصنام للكلبي (٢٧ - ٢٨) .

« أفيكم ابن أبي قحافة » قالها ثلاثـــا فلم يجيبوه . ثم قال : « أفيكم ابن الخطاب ؟ » ثلاثاً فلم يجيبوه ، فقال : « أما هؤلاء فقد كفيتموهم » ، فلم يملك عمر نفسه أن قال : « كذبت يا عدوّ الله ، ها هو رسول الله وأبو بكر وأنا احياء »[1] ، وكان عمر ممن ثبت مع النبي ﷺ يوم (أُحُد)[2] .

وفي غزوة (حُنين) كمنت هوازن في جنبتي وادي حُنَيْن وذلك في عَمَاية الصبح[3] ، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحـــد ، فولّى المنهزمون لا يَلْـوِي أحدعلىأحد،فناداهم رسولالله ﷺ فلم يرجعوا، وثبت مع رسول الله ﷺ عشرة فقط من أصحابه وآل بيته ، كان أحدهم عمر ابن الخطاب[4] .

تلك هي نماذج قليلة على شجاعة عمر النادرة ، ولكن هل تحتاج شجاعة الفاروق الى دليل ؟؟

لا عجب بعد ذلك ان يقول عنه عبد الله بن مسعود : « كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت امارته رحمـة ، ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا » ، وقال رسول الله ﷺ : « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل »[5] .

القابلية البدنية

كان عمر يأخذ بأذن الفرس ويأخذ بيده الاخرى أذنه ثم يَنْزو على

---

(١) الرياض النضرة (١ / ٢٧٣ - ٢٧٤
(٢) تاريخ الخلفاء (٧٩) ،
(٣) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .
(٤) جوامع السيرة لابن حزم (٢٣٨ - ٢٣٩) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣ / ٢٧٠) .

متن الفرس [1] كان يصارع في سوق عكاظ ، ضخماً طويـــلا جسيماً [2] يسرع في مشيته [3] . قالت الشفاء ابنة عبد الله ورأت فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون رويداً ، فقالت : « ما هذا ؟ » ، فقالوا : « نسّاك !! » فقالت : كان والله عمر اذا تكلّم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقاً ، غليظ القدمين والكفين ، مجدول اللحم [4] .

وكان فارساً ماهراً ، قال أبو مسعود الأنصاري : كنا جلوساً في نادينا ، فاقبل رجل على فرس يُركضه يجري حتى كاد يوطئنا ، فارتعنا لذلك وقمنا ، فاذا عمر بن الخطاب ، فقلنا : فمن بعدك يا أمير المؤمنين ! قال : وما أنكرتم ؟ وجدت نشاطاً فأخذت فرساً فركضته [5] » .

لقد كان عمر رجلا مفتول العضل ، قوي الشكيمة ، حاد الطبع، سريع الغضب [6] ، وكان ماهراً في الفروسية مدرباً تدريباً ممتـــازاً على استعمال السلاح . انه كان من الناحية البدنيـــة والتدريبية مثالاً للرجل العربي القوي المدرّب .

وبالفطرة التي فطر عليها كان يحب ما يحسن بالجندي في بدنه وطعامه ، ويكره ما ليس بالمستحسن فيه ، فكان يقول : « اياكم والسمنة ، فانهـــا عقلة » ، وكان يقول : « اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم ،وعليكم بالقصد في قوتكم فهو أبعد من السرح وأصح للبدن

---

(1) طبقات ابن سعد (٣ / ٢٩٣) .
(2) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٢٥) .
(3) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٢٦) .
(4) طبقات ابن سعد (٣ / ٢٩٠) وانظر العقد الفريد (٣ / ٦٨) .
(5) طبقات ابن سعد (٣٢٦/٣) .
(6) حياة محمد (١٥٨) .

وأقوى على العبادة[1]» . ورأى عمر رجلاً غليظ البطن فقال : « ما هذا ؟» قال : « بركة من الله » ، فقال : « بل عذاب !! [2] » .

ومن أقواله : « تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزواً » ، أي تزيوا بزي العرب من معد بن عدنان [3] .

لقد كان عمر جندياً ممتازاً من كافة الوجوه .

تحمّل المسؤولية

كان عمر يتحمّل مسؤوليته كاملةً ويشعر شعوراً عميقاً بثقل أعبـائها . كان يتحمل المسؤولية قبل تولية الحكم وبعد ان أصبح أميراً للمؤمنين .

حين أسلم قال للنبي ﷺ : « ألسنا على الحق ؟ » ، فقـال : « بلى » ، فقال : « ففيم الاختفاء ؟؟ » ، فخرج المسلمون الى البيت العتيق يعلنون دعوتهم ، فأصابت قريشاً كآبة شديدة لم يصبهم مثلها [4] .

لقد أظهر الإسلام ودعا اليه علانيـة ، فجلس المسلمون حلقاً حول البيت وطافوا بالبيت[5] ... وبعض هذا دليل قاطع على شدة تحمل عمر للمسؤولية، لذلك سمّاه النبي ﷺ : الفـاروق ، لأنه أظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل [6] ، اذ ليس من السهل إقدام المسلمين في ظروفهم القاسية تلك —

---

(١) عبقرية عمر (٩٣) .

(٢) تاريخ عمر (١٤٤) .

(٣) عبقرية عمر (٣٠٥) .

(٤) تاريخ الخلفاء (٧٧-٧٨) .

(٥) تاريخ الخلفاء (٧٨) .

(٦) تاريخ الخلفاء (٧٨) .

وهم قلة مستضعفون ، ان يظهروا إسلامهم متحدّين التيّار الجارف الكثرة من المشركين وفي عقر دارهم .

كما ان إقـدام عمر على ابداء رأيه حتى للرسول ﷺ والقرآن ينزل : في اتخاذ مقام ابراهيم مصلى ، وفي أمر الحجاب على نساء النبي ﷺ وفي اجتماع نسائه على الغيرة ، وفي أسرى بدر ، وفي تحريم الخمر [1] ، كل ذلك يدلّ على انه كان ذا رأي سديد يتحمل بشجاعة مسؤولية نتائجة .

وبعد ان اختار الله رسوله ﷺ ، اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبـادة ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح . وبعد مناقشات حادة قال عمر لأبي بكر : « ابسط يدك أبايعك » ، فبسط يده فبايعه عمر وبايعه الناس [2] ، قال عمر : « ... ان مبايعة أبي بكر فلتة إلا ان الله وقى شرها ... [3] » .

لقد فكـّر عمر في أمر الخلافة لأول ما أيقن أن رسول الله ﷺ قـد مات ، وسرعان ما تبيّن في وضوح أن الأمر اذا ترك فلم يتولـّه في الحـال من ينهض به ويدير سياسة المسلمين ، أوشك المهاجرون والأنصار أن يختلفوا وأوشكت الثورة أن تضطرم في بلاد العرب كلها فكان موقف عمـــر في مبـايعة أبي بكر أول موقف له بعد رسول الله ﷺ ، وهو موقف حزم وبعد نظر وحسن سياسة وشعور عميق بمسؤوليته الكبرى أمام الله وأمام المسلمين .

وتولى أبو بكر الخلافة ، فدعا الناس الى الجهاد في ساحات أرض الشام

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء (٨٣-٨٥) وتاريخ عمر (١٣-١٤) وأسد الغابة (٦٣/٤) و (٦٦/٣) .
(٢) ابن الاثير (١٣٤/٢) .
(٣) تاريخ الخلفاء (٤٥) .

وطلب رأي أهل الرأي في ذلك ، فكان عمر أسبقهم الى اجابته ، فقال : « والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقتنا اليه . قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصاب الله بك سبل الرشاد . سرّب اليهم الخيل في أثر الخيل ، وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فان الله عزّ وجل ناصر دينه ومعزّ الأسلام وأهله ، ومنجز وعد رسوله .

لم يتحمس الحاضرون لهذه الدعوة مع ما كان من كلام ابي بكر وعمر ، بل تداولوا الحديث وقد اخذتهم هيبة الروم . فلما فرغوا عاد أبو بكر يدعوهم للتجهّز فسكتوا ! عند ذاك صاح عمر فيهم : « مالكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله اذا دعاكم لما يحييكم ؟! » . وهزت هذه الصيحة الحاضرين ، فرضوا الجهاد [1] .

وبعد توليه الخلافه قال : « لو علمت أنّ أحداً من الناس أقوى على هذا الأمر مني ، لكنت قد أمرته فتضرب عنقي أحب اليّ من أن أليه »[2] .

وكان مقام ابراهيم لاصقاً بالكعبة ، فقال عمر : « اني لأعلم ما كان موضعه ههنا ، ولكن قريش خافت عليه من السيل فوضعته هذا الموضع » ثم وضعه موضعه الأول [3] .

وكان أول من كتب التاريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة من هجرة رسول الله ﷺ ، وهو أول من جمع القرآن في المصحف ، وهو أول من سنّ قيام رمضان ،وهو أول من جمع الناس على قيام رمضان وكتب به الى

---

(١) الفاروق عمر (١/٨٥) .

(٢) تاريخ عمر (٤١) .

(٣) تاريخ عمر (٤٢ - ٤٣) .

البلدان ، وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين ، وهو أول من عسّ في عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدّب بها ، وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار ، وهو أول من دوّن الدواوين [١] ... ومنع الصدقات عن المؤلفة قلوبهم فقال : « ان الله أعزّ الأسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم اليه والا فبيننا وبينكم السيف » [٢] . وأمضى طلاق الثلاث بكلمة واحدة ، قال ابن عباس : « وكان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فأمضاه عليهم » [٣] ، ونهى عن نكاح المتعة ، ودرأ الحدّ بالضرورة ، وقرّر مبدأ المساواة أمام القضاء [٤] ، واجتهد في تفصيل ما لم يرد عنه نص صريح في كتاب الله [٥] .

لقد كان يعرف تماماً عظم مسؤوليته وضخامتها حاكماً للناس عليه حقوق وواجبات لا تحصى .

خرج عمر في سواد الليل ، فرآه طلحة ، فدخل عمر بيتاً . وأصبح طلحة فذهب الى ذلك البيت ، فاذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : « مابال هذا الرجل يأتيك ؟ » ، قالت : « انه يتعاهدني منذ كذا وكذا : يأتيني بما يصلحني ، ويخرج عني الأذى » ، فقال طلحة : « ثكلتك أمك طلحة ! أعثرات عمر تتبع ؟؟! » .

وقدمت رفقة من التجار المدينة فنزلوا المصلّى ، فقال عمر لعبد الرحمن ابن عوف : « هل لك أن نحرسهم الليلة من السُرّاق ؟! » ، فباتا يحرسانهم

---

(١) تاريخ عمر (٤٣) .
(٢) الفاروق عمر (٢/٢٨٣) .
(٣) الفاروق عمر (٢/٢٨٤ - ٢٨٥) .
(٤) الفاروق عمر (٢/٢٩٤) .
(٥) الفاروق عمر (٢/٢٩٥) .

ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجّه نحوه فقال لأمه : « اتقي الله واحسني الى صبيك » ثم عاد الى مكانه ، فلما كان آخر الليل ، سمع بكاءه فقال : « ويحك ! اني لأراك أم سوء . مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة ؟ » ، فقالت : « يا عبدالله قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أربعه عن الفطام فيأبى عليّ » ، فقال : « ولم ؟! » ، قالت : لأن عمر لا يفرض الا للفطيم » ، فقال : « وكم له ؟ » فقالت : « كذا وكذا شهراً » ، فقال : « ويحك لا تعجليه » فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلّم قال : « يا بؤساً لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين ؟! » » ، ثم أمر منادياً فنادى : « أن لا تعجلوا صبيانكم على الفطام » فانا نفرض لكل مولود في الاسلام »[1] .

وروى زيد بن أسلم عن أبيه انه قال : « خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى (حرّة واقم) [2] حتى اذا كنا بـ (صِرَار) [3] إذ نار، فقال : يا أسلم ! اني لأرى ههنا ركباً قد ضربهم الليل والبرد . انطلق بنا ؛ فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فاذا بامرأة معها صبيان صغار وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون ، فقال : السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول : يا أصحاب النار ، فقالت وعليك السلام . فقال : أأدنو ؟ فقالت : أدن بخير أو دع . فدنا وقال : ما بالكم ؟ فقالت : قد ضربنا البرد والليل ! فقال : وما بال الصبية يتضاغون؟ قالت : الجوع فقال:

---

(١) تاريخ عمر (٤٨ - ٤٩) .

(٢) حرة واقم : احدى حرتي المدينة وهي الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمهواقم، وكان قد نزلها ، في الدهر الاول : انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٦٢) .

(٣) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . انظر التفاصيل في معجم البلدان(٥/٣٤٦) .

فأي شيء في هذا القدر ؟ قالت : ما أسكتهم بـه حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر . قال : أي رحمك الله ، ومـــا يدري عمر بكم ؟! قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟! ... فأقبل عمر على أسلم فقال : انطلق بنا ، فانطلقنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلاً من دقيق وكبة من شحم، فقال: احمله عليّ !!! فقلت : أنا أحمله عنك، فقال : أنت تحمل وزري يوم القيامة، لا أم لك ! فحملته عليه وانطلقت معه اليها نهرول ، فألقى ذلك عندهـا . وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول : ذُرّي عليّ وأنا أحرّك لك . وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها ، فقال : أبغني شيئاً ، فأتته بصفحة فأفرغها فيها ثم جعل يقول لها : أعطيهم وأنا اسطح لهم ، فـــلم يزل حتى شبعوا ، وترك عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيراً ... كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول : قولي خيرا ! اذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك ان شاء الله . ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مريضاً ، فقلت له : لك شأن غير هـــذا . فما كلّمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ، ثم ناموا وهدوا ، فقال : يا أسلم ! إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرفْ حتى أرى ما رأيت» [1]

وكان عمر يصوم الدهر ، فكان زمن الرمادة [2] اذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت ، الى أن نحروا يوماً من الأيام جَزُوراً [3] فأطعمهـا الناس وغرفوا له طيبها فأتى به ، فاذا قديد من سنام ومن كبد ، فقال : « بَخْ بَخْ ! [4] بئس الوالي أنا ان أكلت طيبها وأطعمت الناس

---

(١) تاريخ عمر (٤٩ - ٥٠)

(٢) هو عام الرمادة ، وانما سمي عام الرمادة لان الارض كلها صارت سوداء فشبهت بالرمادة وكانت تسعة أشهر .

(٣) الجزور : ما يصلح أن يذبح من الابل .

(٤) بخ : كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر : تقول : بخ .. بخ بالتسكين او التنوين .

كراديسها [1] . أرفع هذه الجفنة ! هات غير هذا الطعام » ، فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ، ثم أمر بحمل تلك الجفنة الى أهل بيت من بيوت المسلمين [2] .

ونظر عمر عام الرمادة الى بطيخة في يد بعض ولده ، فقال : بخ .. بخ .. يا ابن أمير المؤمنين . تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى ؟! » ، فخرج الصبي هارباً وبكى ، فقالوا : اشتراها بكف من نواة ...

وقال عياض بن خليفة : « رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون ، ولقد كان أبيض - كان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن ، فلما أمحل الناس حرمها ، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر . وقال زيد بن أسلم عن أبيه : « كنا نقول : لو لم يرفع الله عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين » .

وقال عمر حين نزل به مغيث : الحمد لله فوالله لو أن الله ما يفرجها ما تركت بأهل بيت من المسلمين لهم سعة الا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحداً [3] .

وقد الأحنف بن قيس التميمي في وفد من العراق في يوم صائف شديد الحر ، وعمر محتجز بعباءة يهنأ بعيراً من ابل الصدقة ، فقال : « يا أحنف ! ضع ثيابك وهلمّ فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فانه لمن ابل الصدقة ، وفيه حق لليتيم والمسكين والارملة » ، فقال رجل من القوم : « يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة ، فيكفيك هذا » ،

---

(١) الكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظم تام ضخم .
(٢) تاريخ عمر (٥٠) .
(٣) تاريخ عمر (٥١) .

فقـــال عمر : « وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف . انه من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم مثل مايجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة [1] .

وبينا كان عمر يعسّ ليلا ، إذ مر بامرأة جالسة على سرير وهي تقول :

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه	وأرقني إذ لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله اني اراقبـــه	لحرّك من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : « أواه ! » ، ثم خرج فضرب الباب على حفصة أم المؤمنين، فقال : « أي بنية ! كم تحتاج المرأة الى زوجهـــا ؟ » ، قالت : « في ستة أشهر » ، فكان لا يغزي جيشاً له اكثر من ستة أشهر [2] .

° وذات ليـــلة كان يعسّ ، فاذا هو ببيت مبني من شعر لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعـــداً ، فدنا منه فسلم عليه ثم قال : « من الرجل ؟ » ، فقال : « رجل من أهل البادية أتيت امير المؤمنين أصيب من فضله » ، فقال : « فما هـــذا الصوت الذي اسمع في البيت ؟ » ، فقال : « انطلق رحمك الله لحاجتك » ، فقال : « على ذلك ما هو؟ » فقال: « امرأة تمخض » ، فقال: « هل عندها احد ؟ » ، فقال : « لا » . وانطلق عمر حتى أتى منزله ، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : « هل لك في أجر ساقه الله اليك ؟ » ، قالت : « وما هو ؟ » ، فقال : « امرأة غريبة وليس عندها أحد » ، فقالت : « نعم إن شئت » ، قال : « فخذي ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئيني ببرمة شحم وحبوب ، فجاءته بكل ذلك ، فقال : « انطلقي ! » ، وحمل البرمة ومشت خلفـه

---

(١) تاريخ عمر (٥٢) .

(٢) تاريخ عمر (٦٠) وفي رواية اخرى انها قالت ثلاثة اشهر أو اربعة اشهر .

حتى انتهى الى الباب ، فقال لها : « ادخلي الى المرأة » ، وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له : « أوقد لي ناراً » ، ففعل وأوقد تحت البرمة ناراً حتى أنضجها . وولدت المرأة فقالت : « يا أمير المؤمنين ! بشّر صاحبك بغلام ». فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هابه فجعل يتنحّى عنه ، فقال : « مكانك كما أنت » ، فحمل عمر البرمة ووضعها على الباب ثم قال : « شبّعيها » ، ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر فوضعها بين يدي الرجل ، فقال : « كل ويحك ، فانك قد سهرت من الليل » وقال له : « اذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك » [1] .

وعن سالم بن عبدالله ، أن عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دبر البعير ويقول : « اني لخائف أن أسأل عما بك » . وعن المسيب بن دارم قال : « رأيت عمر يضرب جمّالاً وهو يقول : حمّلت جملك ما لا يطيق » . وقال: « رأيت عمر مرّ به سائل وعلى ظهره جراب مملوء طعاماً » ، فأخذه فنثره للنواضح [2] ثم قال : « الآن فسل ما بدا لك » [3] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كنا عند عمر بن الخطاب ، اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا مقام العائذ بك . قال : وما لك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر ، فأقبلت فرس لي ، فلما تراآها الناس ، قام محمد بن عمرو فقال : فرسي ورب الكعبة . فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي ورب الكعبة ، فقام يضربني بالسوط ويقول : خذها ... خذها ... وأنا ابن الأكرمين » . فوالله ما زاد عمر على

---

(١) تاريخ عمر (٦١ - ٦٢) .

(٢) نواضح : جمع ناضح ، وهي الدابة يستقى عليها .

(٣) تاريخ عمر (٧٢)

أن قال : اجلس ، ثم كتب الى عمرو : اذا جاءك كتابي هـذا ، فاقبل وأقبل معك بابنك محمد . فدعا عمرو ابنه فقال : أحدثت حدثاً ؟! أجنيت جناية ؟! قال : لا . قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟... فقدما على عمر ، فوالله انا لعند عمر بـ(مِنَى) [1] اذ نحن بعمرووقـد أقبل في ازار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، فاذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصري؟ فقال : ها أنا ذا . قال : دونك الدرّة اضرب ابن الأكرمين... اضرب ابن الأكرمين ... اضرب ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه ، فقال: يا أمير المؤمنين ! لقد ضربت من ضربني. فقال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ! يا عمرو ! ، متى استعبدتم الناس وقـد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟؟ ثم التفت الى المصري فقـال : انصرف راشداً ، فان رابك ريب فاكتب اليّ » [2] .

وقال الأحنف بن قيس « ... فقلنا يا أمير المؤمنين انا قدمنا بفتح عظيم ... ثم انصرف راجعاً ونحن معه ، فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! انطلق معي فأعدني على فلان فانه ظلمني ، فرفع عمر الدرة فخفق بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معترض لكم، حتى اذا شغل بأمر من أمور المسلمين اتيتموه : أعدني ... أعدني ، فانصرف الرجل وهو يتذمّر ! فقال عمر : عليّ بالرجل ، فألقى اليه المخفقة ، فقال : امتثل ! قال : لا ، ولكن أدعها لله ولك . قال عمر : ليس كذلك . اما تدعها لله وارادة مـا عنده ، أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال : أدعها لله . قال : انصرف ... ثم جـاء يمشي

(١) منى : بليدة على فرسخ من مكة تعتمر أيام الموسم وتخلو أيام السنة الا ممن يحفظها. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ١٠٨ - ١٠٩) .

(٢) تاريخ عمر (٧٣)

حتى دخل منزله ونحن معه ، فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس فقال : يا ابن الخطاب ! كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب المسلمين ، فجاءك رجل يستعديك فضربته ! ما تقول لربك غداً اذا أتيته ؟؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه من خير أهل الأرض [1] .

وعن اياس بن سلمه عن أبيه قال : « مرّ عليّ عمر بن الخطاب وأنا في السوق ، وهو مار في حاجة له ومعه الدرّة ، فقال : « هكذا أمط عن الطريق يا سلمة ، ثم خفقني بها خفقة فما أصاب الا طرف ثوبي ... فأمطت عن الطريق ، فسكت عني حتى كان العام المقبل ، فلقيني في السوق فقال « يا سلمة ! أردت الحج العام ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فأخذ بيدي فما فرقت يده يدي حتى دخل بي بيته ، فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال : يا سلمة ! استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام اول . فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما ذكرتها حتى ذكرتنيها ! قال : والله ما نسيتها بعد [2] » .

وقال عمر : « لئن عشت ان شاء الله ، لأسيرنّ في الرعية حولا واني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني آمالهم فلا يصلون اليّ ، وأما عمالهم فلا يرفعونها اليّ ، فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين [3] » .

---

(١) تاريخ عمر (٨٣)

(٢) تاريخ عمر (٨٣-٨٤) .

(٣) تاريخ عمر (٩٠) وانظر ابن الاثير (٢/٢١٣-٢١٤) .

وقال عمر : « ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهُداتهم » . وقال : « الرعيـة مؤدية الى الامام ما أدّى الإمام الى الله ، فاذا رتع الإمام رتعوا [1] » .

ورأى الهرمزان عمر مضطجعاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال : « هذا والله الملك الهنيء [2] » .

وقال عمر : « انما مثل العرب مثل جمل أنف اتّبعَ قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده . فأما أنا فوربّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق » . وقال نافع العبسي : « دخلت حَيْر [3] الصدقة مع عمر بن الخطـاب وعلي بن أبي طالب ، فجلس عثمان في الظل يكتب وقام على رأسه عليّ يملي ما يقول عمر ، وعمر في الشمس قائم في يوم حار شديد الحر ، عليه بردان أسودان متزراً بواحد وقد لفّ على رأسه آخر يعدّ ابل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها . فقال علي لعثمان : في كتاب الله « يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين » ، ثم أشار عليّ بيده الى عمر فقـال : هذا القوي الأمين . وقال عمر : « اذا كنت في منزلة تسعني وتعجز عن الناس ، فوالله ما تلك بمنزلة حتى اكون أسوة للناس [4] » .

وخطب عمر يوماً فقال : « والذي بعث محمداً بالحق ، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات ، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب » .

وكان رجل بينه وبين عمر قرابة ، فسأله فزبره [5] وأخرجـه ، فقيل

---

(١) طبقات بن سعد (٣/٢٩٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣) وانظر رواية اخرى في ابن الاثير (٢/٢١٢).

(٣) حير : شبه الحظيرة او الحمى .

(٤) الطبري (٣/٢٧١) وابن الاثير (٣/٢١) .

(٥) زبره بالحجارة زبراً : رماه بها .

لعمر : « يا امير المؤمنين ! فلان سألك فزبرته وأخرجته » ، فقال : « انه سألني من مال الله، فما معذرتي ان لقيته ملكاً خائناً ؟فلولا سألني من مالي[1]».

وخطب عمر فقال : « يا أيهـــا الناس ! إني والله ما أرسل اليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكني أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به شيء سوى ذلك ، فليرفعـــه إليّ ، فوالذي نفس عمر بيده ، لأقصنّه منه » ، فوثب عمرو بن العاص فقال : « يا أمير المؤمنين ! أرأيتك ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيّة ، فأدّب بعض رعيتـــه ، انك لتقتصّه منه ؟ » فقال : « إي والذي نفس عمر بيده ، اذاً لأقصنّه منه ، وكيف لا أقصه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقصّ من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم [2] » .

وقال الشعبي : « كان عمر يطوف في الاسواق ويقرأ القرآن ، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم [3] » .

لقد كان عمر رجل دولة مثالياً : يعرف تفاصيل مسؤوليته ودقائقها ، ويتحمل هذه المسؤولية كامـــلة ولا يتهرّب منها ، ويحاسب نفسه وعماله محاسبة عسيرة قبلَ أن يحاسبه ويحاسبهم الناس ، ويسهر على مصالح المسلمين ناسياً مصلحته الشخصية ومصالح أهله وذويه ، عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : « ان عمر اذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم الى أهله فقال : لا

---

(١) الطبري (٣/٢٧٣) .

(٢) الطبري (٣/٢٧٣- ٢٧٤) .

(٣) ابن الاثير (٣/٢٣) .

أعلمنّ أحداً وقع في شيء ما نهيت عنه الا أضعفت له العقوبة »[١] . وقال عمر : « أحبّ الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي »[٢] . وعن سهل بن حُنَيْف عن أبيه قال : « مكث عمر زماناً لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خَصَاصة ، فأرسل أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم وقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر ، فما يصلح لي منه ؟ فقال عثمان : كُلْ وأطْعِم . وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، فقال لعلي : ما تقول أنت ؟ قال : غداءً وعشاءً ؛ فأخذ عمر بذلك »[٣] .

وقال أنس بن مالك : « رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد رقّعَ بين كتفيه برقاع ثلاث لَبّدَ بعضها فوق بعض » ، وقال : « رأيت عمر بن الخطاب يرمي جمرة العقبة وعليه ازار مرقوع بفرو ، وهو يومئذ والٍ »[٤] ، وكان عمر قد قدّم الى رسول الله ﷺ أول صدقة تُصدّق بها في الاسلام[٥] ، وحين حضرته الوفاة أوصى بالربع من ماله صدقة[٦] ، كما اوصى ابنه عبد الله بن عمر أن يفي ما في ذمته من ديون لبيت المال[٧] .

انني لا أعرف أحداً حمل مسؤوليته في تاريخ الانسانية كلها بعد رسول الله ﷺ وبعد أبي بكر الصديق ، مثل عمر بن الخطاب .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢٨٩/٣) .
(٢) طبقات ابن سعد (٢٩٣/٣) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣٠٧/٣) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣٢٧/٣) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣٥٨/٣) .
(٦) طبقات ابن سعد (٣٥٧/٣) .
(٧) طبقات ابن سعد (٣٥٨/٣) .

لقد أتعب عمر نفسه ، وأتعب غيره ...

معرفة مبادىء الحرب

كان عمر أحد خريجي مدرسة الرسول القائد ﷺ في ممارسة فنون الحرب ومعاناة أهوالها .

كان عمر قبل إسلامه كأي عربي ليس غريباً على ساحات الوغى وأخبار الحروب ، ولكن هذه المعلومات الابتدائية عن المعـــارك صقلها وهذبها بالممارسة الفعلية وبالتوجيه العملي والنظري لسيد القـــادة وقائد السادة عليه الصلاة والسلام .

ولقد كان لعمر طبيعة موهوبة للجندي الممتاز كما أسلفنا ، فاجتمع لديه بعد تجاربه الطويلة للحرب بعد اسلامه ، الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، وبذلك أصبح قائداً مثالياً له مزايا القائد المثالي علماً وعملاً .

شهد عمر مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنينا وغيرها من المشاهد ، وكان أشد الناس على الكفار ، وأراد رسول الله ﷺ أن يرسله الى مكة يوم الحديبية : فقال : « يا رسول الله ! قد علمت قريش شدة عداوتي لها ، وإن ظفروا بي قتلوني »، فتركه وأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه [1] .

وقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قيـــادة سرية من المسلمين ، فقد بعثه في شعبان سنة سبع من مهـــاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلاً الى (عَجُز) [2] هوازن بـ (تُـرَبَة) [3] ، فخرج وخرج معه

---

(١) أسد الغابة (٤/٥٩) .

(٢) عجز : محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له: تربة بضم العين. انظر ←

دليل من بني هلال ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأتى الخبر هوازن فهربوا.وجاء عمر محالّهم فلم يلق منهم أحداً فانصرف راجعاً الى المدينة[1]، فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل : « هل لك في جمع آخر من خثعم ؟ » ، فقال عمر : « لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم ، انما أمرني بقتال هوازن » [2] .

هذه السريّة تدلّنا على ثلاث نتائج عسكرية : الأولى أن عمر أصبح مؤهلاً للقيادة اذ لولا ذلك لما ولاّه النبي الكريم ﷺ قيادة سرية من سرايا المسلمين تَتَّجه الى منطقة بالغة الخطورة والى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدها شكيمة .

والثانية ، أن عمر الذي كان يكمن نهاراً ويسير ليلاً،مشبع بمبدأ المباغتة، أهم مبادىء الحرب على الإطلاق ، مما جعله يباغت عدوّه ويجبره على الفرار ، وبذلك انتصر بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة .

والثالثة ، أن عمر ينفّذ أوامر قائده الأعلى نصاً وروحاً ولا يحيد عنها ، وهذا هو روح الضبط العسكري روح الجندية في كل زمان ومكان .

وبعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى وتولي ابي بكر الصديق كان عمر أحد جنود بعث أسامة بن زيد [3] ، وحين أراد أبو بكر الصديق انفاذ

= السيرة الحلبية (٣ / ٢١٠) . وفي معجم البلدان (٢ / ٣٧٤) : أن تربة على مسافة يومين من مكة .

(٣) تربة : وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٣٧٤) وفي طبقات ابن سعد (٢ / ١١٧) : انها بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران .

(١) طبقات ابن سعد (١١٧/٢) والسيرة الحلبية (٣ / ٢١٠)

(٢) السيرة الحلبية (٣ / ٢١٠)

(٣) ابن الاثير (٢ / ١٢٧) والطبري (٢ / ٤٦٢) .

هذا البعث الى واجبه حسب أوامر النبي ﷺ شيّع هـذا الجيش فقال لقائده أسامة : « ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل » فأذن له [1] ؛ فكان عمر أبرز عضو من أعضاء المجلس الأعلى للقيادة العامة في عهد أبي بكر الصديق .

كان أبو بكر يستشير عمر في تعيين القادة الذين يوليهم قيادة جيوش المسلمين، فقد عقد أبو بكر أول لواء الى أرض الشام لخالد بن سعيد بن العاص ، ولكنه عزله قبل ان يسيّره ، وكان سبب عزله أنه تربّص ببيعة أبي بكر شهرين ، ولقي علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ، فقـــال : « يا أبا الحسن ! يا بني عبد مناف ! أغُلبتم عليها ؟ » ، فقال علي : أمغالبـــة ترى أم خلافة ؟! » ... أما أبو بكر فلم يحقدها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه ، فلمـــا ولاّه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الأمارة وجعله ردئاً للمسلمين بـ (تَيْماء) [2] وأمره لا يفارقها الا بأمره وان يدعو من حوله من العرب الا من ارتدّ ، وأن لا يقاتل الا من قاتله [3] .

وكان يستشيره في تسيير الجيوش الى الجهاد فقد دعـــا أبو بكر أهل الرأي وفي مقدمتهم عمر ، وذكر لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عوّل أن يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله اليه واختار له ما لديه ، وطلب رأيهم في ذلك ، فكان عمر أسبقهم الى اجابته فقال : « ... سَرب الخيل في أثر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعهـــا الجنود

---

(١) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (٢ / ١٢٧)

(٢) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٤٤٢) وتهذيب الاسماء واللغات القسم الثاني (٤٤/١) .

(٣) ابن الاثير (١٥٤/٢) والطبري (٥٨٦/٢) . وفي البلاذري (١١٦) : ان عمر كلم أبا بكر في عزل خالد انه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب، فعزله .

... » ، فلما لم يتحمّس الحاضرون لهذه الدعوة لأن هيبة الروم أخذتهم صاح فيهم عمر: «مالكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله اذا دعاكم لما يحييكم ؟! » فهزّت هذه الصيحة الحاضرين ، فرضوا بالجهاد [1]. فكتب أبو بكر الى اليمن وأهل مكة [2] يستنفرهم للجهاد في أرض الشام .

وكان يستشيره عند إعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) لجيوشه ، فكان عمر يعاونه في ذلك أعظم المعاونة .

ولما حضرت أبا بكر الوفاة دعا عبدالرحمن بن عوف فقال : « أخبرني عن عمر » فقال : « إنه أفضل من رأيت ، ولكن فيه غلظة » ، فقال أبو بكر : « ذلك لأنه يراني رقيقاً ، ولو أفضى الأمر اليه لترك كثيراً مما هو عليه ، وقد رمقته فكنت اذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه ، واذا لنت له أراني الشدّة عليه » . ودعا عثمان بن عفان وقال له : « أخبرني عن عمر » ، فقال ، « سريرته خير من علانيته ، وليس فينا مثله » . ودخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال : « استخلفت على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به اذا خلا بهم ، وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك » ، فقال أبو بكر : أجلسوني » ، ثم قال : «أبالله تخوّفني ؟؟ اذا لقيت ربي ، فسألني ، قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك [3] » .

وأصبح عمر بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه القائد الأعلى لقوات المسلمين المسلّحة ، فكان أول ما عمل ، أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني

---

(١) الفاروق عمر (١/٨٥)

(٢) فتوح الشام للواقدي (١/٢) .

(٣) ابن الاثير (٢/١٦٣) وانظر ابن خلدون (٢/٨٥) .

الى أهل فارس ، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها الصديق ابو بكر ، ثم أصبح فبايعه الناس، فعاد فندب الناس لقتال الفرس . وتتابع الناس على البيعة ثلاثة أيام ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد الى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه اليهم وأثقلها عليهم ، لشدّة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم ؛ فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، فأمّرَه على الجيش لأنه كان اول الناس انتداباً [1] .

وأمر المثنى بن حارثة الشيباني بالتقدم الى ان يقدم عليه أصحابه ، وأمر باستنفار من حسن إسلامه من أهل الردة [2] ، فكان بعث أبي عبيد أول جيش سيّره عمر [3] .

لقد طبق عمر بذلك مبدأ (التحشد) تطبيقاً رائعاً .

وكان عمر قد قال لأبي عبيد : « انك تقدم على ارض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ... تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ؛ فانظر كيف تكون ، واحرز لسانك ، ولا تفشينّ سرّك ، فان صاحب السرّ ما يضبطه متحصن ولا يُؤتى من وجه يكرهه ، واذا ضيعه كان بمضيعة [4] » .

وهذا يدل على ان عمر كان يعرف تفاصيل دقيقة عن الحالة الاجتماعية لعدوه ، لذلك أوصى قائده بالحذر واليقظة ، وأرشده الى مفتاح كل ذلك

---

(١) الطبري (٢/٦٣١) وابن الاثير (٢/١٦٦) وتاريخ عمر (٦٧) .
(٢) ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٣) ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٤) ابن الاثير (٢/١٦٨) .

وهو كتمان السر حتى لا يعرف عدوه نواياه قبـل الأوان ، فيباغته عدوّه قبل ان يباغت هو عدوه . وقبل معركة (البويب) [١] ندب عمر الناس الى المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان فيمن ندب قبيلة (بجيلة)[٢] ، فجعل الناس يتحامون العراق ويتثاقلون عنه ، حتى همّ أن يغزو بنفسه . وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم الى العراق [٣] . وكتب الى أهل الردة فلم يأته أحد إلا رمى به المثنى [٤] .

لقد طبق عمر في ذلك مبدأين من مبادىء الحرب المهمة : مبـــدأ التحشد ، وذلك بحشد أكبر عدد من القوات في ربوع العراق ، ومبـــدأ (توخي الهدف) ، وذلك بالاصرار على فتح العراق مهما يكلفه الأمر ومهما تكن الظروف والأحوال .

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة ، حين علـم عمر باجتماع الفرس على « يزدجرد » بعد توليه عرش أجداده الأكاسرة وتجهزهم مما أثار قرى العراق ومدنه على المسلمين ، قال : « والله لأضربن ملوك العجم بمـلوك العرب » ، ثم كتب الى عماله : « لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجـدة أو رأي الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي ... والعجل العجل[٥] ... » ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً الا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغررهم ؛ وكتب الى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بـين

---

(١) نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق ، يأخذ من الفرات . انظر معجم البلدان (٢/٣١٠) .

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب (٣٨٧/٣٩٠) .

(٣) البلاذري (٢٥٣) وانظر الطبري (٢/٦٤٦) .

(٤) ابن الاثير (٢/١٦٩) .

(٥) الطبري (٣/٦٦٠) وابن الاثير (٢/١٧٢) .

العجم ، والتفرق في المياه التي تلي العجم ، وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات الا أحضروه اما طوعاً أو كرهاً [١] .

وأراد عمر أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك خارج المدينة المنورة فاستخلف علي بن ابي طالب على المدينة ، وجعل طلحة على المقدمة ، والزبير وعبد الرحمن بن عوف على المجنبتين [٢] « ولكن وجوه أصحاب النبي ﷺ أشاروا عليه أن يبعث رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ويرميه بالجنود ، « فان كان الذي يشتهي فهو الفتح ، والا أعاد رجلا وبعث آخر ، ففي ذلك غيظ العدو » فجمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأي منكم ، وقد رأيت أن أقيم وابعث رجلا ، فأشيروا علي برجل » [٣] .

وأمّر عمر سعد بن ابي وقاص على حرب العراق بعد مشاورات طويلة أجراها عمر مع خاصة المسلمين وعامتهم [٤] ، فسرحه فيمن اجتمع اليه من الرجال ، وأمده بعد خروج سعد بألفي يماني وألفي نجدي ، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة فنزلوا في ثلاثة آلاف ، ولم يدع عمر ذا رأي ولا شرف ولا خطيباً ولا شاعراً ولا وجيهاً من وجوه الناس الا سيره الى سعد [٥] .

وكتب عمر الى سعد يأمره : أن يقاتل المسلمون الفرس على حدود أرضهم

---

(١) ابن الاثير (٢/١٧٢) .

(٢) ابن الاثير (٢/١٧٣) .

(٣) ابن الاثير (٢/١٧٢) وابن خلدون (٢/٩١) وانظر البلاذري (٢٥٥) .

(٤) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٣٢) .

(٥) ابن الاثير (٢/١٧٣ - ١٧٤) .

على ادنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم في عقر دارهم ، فان يظفر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وان كانت الأخرى رجعوا الى فئة ، ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى أن يرد الله الكرة عليهم » ، وكتب عمر أيضاً الى أبي عبيدة بن الجراح ليصرف أهل العراق ومن اختار أن يلحق بهم من أرض الشام الى العراق [1] .

وكتب عمر الى سعد ومن معه من الجنود : « أما بعد . فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فان تقوى الله افضل العدة على العدو وأقوى العدة في الحرب [2] . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ؛ فأن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا . واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وانتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : ان عدونا شر منا يسلط علينا ، وان أسأنا فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس : (فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً [3])، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم .

---

(١) كان هؤلاء قد أرسلوا من العراق الى أرض الشام مع خالد بن الوليد في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه . انظر : قادة فتح العراق والجزيرة (١١٩ - ١٢٦) .

(٢) انظر الباب الأول من كتاب مختصر سياسة الحروب ، للهرثمي (١٥ - ١٦) وهو : في أن نظام الامر تقوى الله والعمل بطاعته .

(٣) الآية الكريمة من سورة الاسراء (١٧ : ٥) .

« وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فانهم سائرون الى عدو مقيم جام الأنفس والكراع ، وأقم بمن معك كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يجمون فيها أنفسهم ويرمّون (أي يصلحون) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ، ولا ترزأ أحداً من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم ففوا لهم ، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح .

« واذا وطئت أدنى ارض العدو ، فاذكِ العيون بينك وبينهم (أي بثها) ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدق في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبّع الطلائع عوراتهم ، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدواً كان اول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولا تخصّ بها أحدا بهوى ، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه ضيعة ونكاية ، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنيعته بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتحفظ من البيات جهدك ولا تؤتى بأسير ليس له عهد الا ضربت عنقه لترهب بذلك

عدوك وعدو الله ، والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان » [1] .

ان اجراءات عمر قبل معركة القادسية تمثل ذروة تطبيق مبدأ (التحشد) ، كما أن وصيته لسعد بالقتال على حدود بلاد العرب تطبيق لمبدأ (الأمن) ومبدأ (المرونة) [2] .

أما وصيته لسعد ولرجاله بتقوى الله وطاعته والابتعاد عن المعاصي ، فتمثل أسمى غاية لتطبيق مبدأ (ادامة المعنويات) .

أما وصاياه لسعد عن الحذر واليقظة ، والمسير ، والاستراحة الاسبوعية وادامة سلاح الجيش وخيوله ، والمحافظة على أهل الذمة ، واذكاء العيون واختيارهم ، واتخاذ التدابير التعبوية للأمن ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة ، والحذر من مباغتة العدو لجيشه ، والحزم ..الخ ، فتعتبر من ألمع ما كتب في هذا الموضوع ، كما انها دليل على معرفة عمر لتفاصيل ودقائق التعبئة الصغرى واهتمامه الشديد بتطبيق مبدأ (الأمور الأدارية) ومبدأ (الاقتصاد بالجهود) [3] .

ووجه عتبة بن غزوان [4] الى البصرة وقال له : يا عتبة ! اني قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حومة من أحومة العدو ، وأرجو أن

---

(١) نهاية الارب نقلا عن كتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح (١٤٨ - ١٥٠) .

(٢) مبدأ المرونة الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية (قابلية الحركة) أصبح الآن يسمى مبدأ (المرونة) ، ومعناها : قوة العمل السريع وقوة الحركة . انظر الرسول القائد (٣١٩) .

(٣) هو استخدام أصغر القوات للامن أو لتحويل انتباه العدو الى آخر أو صد قوة معادية أكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة . انظر : الرسول القائد (٣١٧) .

(٤) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٧٧ - ٣٨٦) .

يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها؛ وقد كتبت الى الحضرمي يمدك بعرفجة ابن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو ، فاذا قدم عليك فاستشره ؛ وادع الى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، والا فالسيف ؛ واتق الله فيما وليت ، واياك أن تنازعك نفسك الى كبر مما يفسد عليك إخوتك ؛ وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلّطاً مطاعاً : تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ؛ فيا لها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك ، وتبطرك على من دونك : واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها الى جهنّم ... أعيذك بالله ونفسي من ذلك . ان الناس أسرعوا الى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتّق مصارع الظالمين »[1] .

هذه الوصية نموذج رفيع من الوصايا : اعطاء فكرة عن المنطقة، والتأكيد على الخطر المحدق ، وتجميع للقوة درءاً لذلك الخطر ، وحثّ على الاستشارة، وتوضيح لتعاليم الفتح في الاسلام ، وأمر بالتقوى والعدل ، ونهي عن الكبر والبطر ...

وفي هذه الوصية ، دليل على معرفة عمر لرجاله فرداً فرداً ، من هو الرجل المناسب للعمل المناسب ، وتلك مزية لعمر جعلته لا يخطيء في اختيار الرجال لمعاونته في تحمل أعباء الحكم في الحرب وفي السلم ، هذه المزية التي لم يكتب التاريخ لرجل دولة أن ينجح بدونها .

وسمع عمر بأعمال خالد بن الوليد في أرض الشام بعد عزله ، وكان

(١) الطبري (٣/٩٢) وابن الاثير (٢/١٨٨)

حينذاك يعمل قائداً مرؤوساً لأبي عبيدة بن الجراح ، فهتف من أعماق قلبه :
أمّر خالد نفسه ! يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم بالرجال مني ! » ،
قال عن خالد والمثنى : « اني لم أعزلهما عن ريبة ، ولكنّ الناس عظموهما،
خشيت أن يوكلوا اليهما » [1] . انه أراد أن يبذل المقاتلون أقصى جهودهم
نيل النصر وأن يحسبوا في الظروف الحربية أسوأ الاحتمالات ، وأن يُعِدّوا
لكل احتمال عدّته ، فلا يتواكلوا معتمدين على كفاءة قادتهم أو على عددهم
وعُددهم مما يؤدي الى نكبتهم كما حدث ذلك يوم (حُنَيْن) اذ اعجبتهم
كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً . قال عمر : لأعزلنّ خالد بن الوليد والمثنى مثنى
بني شيبان ، حتى يعلما أن الله انما كان ينصر عباده ، وليس اياهما كان
ينصر [2] . فلم يكن يرضى عمر عن غرور القائد ولا عن غرور الجنود :

وبعد فتح (انطاكية) من أرض الشام ، كتب عمر الى ابي عبيدة :
« رتّب بأنطاكية جماعة من المسلمين ، واجعل بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم
العطاء » [3] ، وهذا تطبيق عملي لمبدئي (الأمن) و (الامور الادارية) .

ولما فرغ سعد بن ابي وقاص من أمر القادسية ، أقام بها بعد الفتح شهرين
وكاتب عمر فيما يفعل ، فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى (المدائن) [4] ،
وأن يخلّف النساء والعيال بـ (العتيق) وان يجعل معهم جنداً كثيفاً [5] ،
وأن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم . وفي هـــذا

---

(٢) ابن الاثير (٢ / ١٩١) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٢٨٤) .
(٣) ابن الاثير (٢ / ١٩٢) .
(٤) المدائن : هي طيسفون على دجلة بينها وبين بغداد ستة فراسخ : انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ / ٤١٣ - ٤١٥) وهي مدينة سلمان باك في الوقت الحاضر ناحية من نواحي بغداد،
(٥) ابن الاثير (٢ / ١٩٦) .

الامر المختصر ، طبّق عمر مبـــدأ (اختيار المقصد وادامته) ، ومبدأ (التعرّض) [1] ومبدأ (تحشيد القوة) ومبدأ (الاقتصاد بالجهود) ومبدأ (الأمن) ، ومبدأ (ادامة المعنويات) ومبـــدأ (الاموروالأدارية) . ولا أعلم رسالة قليلة الكلمات كثيرة الفائدة مثل هذه الرسالة الموجزة .

وبعد فتح المدائن ، انسحب الفرس باتجـــاه (جلولاء) [2] ، وعسكرت قواتهم الضاربة هناك ، فكتب الى عمر بذلك ، فكتب اليه عمر . «سرّح هاشم بن عتبة الى (جلولاء) في اثني عشر الفاً ، واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمر ، وعلى ميمنته مسعر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالـــك ، واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجرمي » [3] . وهذا يدل على معرفة عمر بالرجال وبالأساليب التعبوية التي تحقق لجيشه مبدأ (الأمن) .

كما كتب الى سعد عندما علم بتجمع العدو في (تكريت) يقول : « سرّح اليه عبدالله بن المعتم ، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل ، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة [4] ، وهذا يدل على معرفة عمر بالرجـال ايضاً وبالأساليب التعبوية السائدة في الجيوش حينذاك .

وعبر العلاء بن الحضرمي من البحرين الى فارس بغير اذن عمر ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا. وأخذت الفرس طرقهم ، فعسكروا وامتنعوا . ولما بلغ عمر صنيع العلاء ، أرسل الى عتبة ابن غزوان يأمره بإنفاذ جيش كثيف الى المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا ،

---

(١) التعرض : هو الهجوم على العدو لسحقه . انظر الرسول القائد (٣١٣).

(٢) جلولاء : موضع على نهر ديالي على بعد سبعة فراسخ من خانقين ، تقع بين خانقين وبعقوبا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٢٩/٣) .

(٣) الطبري (١٣٢/٣) وابن الاثير (٢٠١/٢) والبلاذري (٢٦٤) .

(٤) ابن الاثير (٢٠٢/٢) .

فأرسل عتبة جيشاً في اثني عشر الف مقاتل ، فهزموا الفرس وانقذوا جيش العلاء وعادوا الى البصرة [1] ؛ وعزل عمر العلاء بن الحضرمي عن البحرين لمخالفته الاوامر [2] . لقد طبق مبدأ (الأمن) في منعه العلاء من العبور الى فارس بحراً وطبق مبدأ (التحشد) في ارسال المدد اليه لانقـاذ جيشه من الورطة التي وقع فيها . وكان عزل العلاء دليلاً على تمسّك عمر بتنفيذ أوامره وعدم افساح المجال لمخالفتها وعدم السكوت عن المخالفين .

وفي (الأهواز) استطاع (يزدجرد) أن يحشد جيشاً ضخماً ، فجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وصحبه ، فكتبوا الى عمر بالخبر ، فكتب عمر الى سعد أن: «ابعث الى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرّن المزني وعجّل فلينزلوا بازاء (الهرمزان) ويتحققوا أمره » ، وكتب الى ابي موسى الأشعري أن : « ابعث الى (الاهواز) جنداً كثيفاً وأمّر عليهم سعد بن عدي أخا سهيل ، فابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم »[3] . وهـذا يدل على أن عمر كان يعرف رجاله ومزاياهم معرفة دقيقـة ، وانه طبق مبدأ (التحشد) تطبيقاً رائعاً .

لقد كان عمر جندياً ممتازاً ، وقائداً مجرباً ، يعرف تفاصيل التعبئـة الصغرى ، ويتحلى بمزية الضبط المتين ، ويعرف مزايا رجاله ويوليهم المناصب استناداً لتلك المزايا فقط ، ويطبق جميع مبادىء الحرب المعروفـة بشكل مثالي وبكل حرص في الحرب .

(١) الطبري (٣/١٧٨) وابن الاثير (٢/٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٢) انظر تفاصيل ذلك في ترجمة العلاء بن الحضرمي في كتاب قادة فتح ايران .

(٣) ابن الاثير (٢/٢١١) ، وانظر كتاب الولاة وكتاب القضاة « ٨ » حول تحشيد قوات المسلمين لفتح مصر .

لقد كان قائـداً فذاً لا يتكرر على تعاقب الايام والعصور إلا نادراً .. وقد لا يتكرر أبداً .

الخطط السوقية »[1]

١ – الخطط التعبوية ، هي الخطط التي يعدها القادة المرؤوسون في منطقة الحركات[2] والقـادة العامون في (الجبهة)[3] وفي (ساحات الحركات)[4] لادارة الحرب في معارك معينة .

وكمثال على ذلك ، كان في أيام عمـر ساحات حركات عديدة : ساحة حركات العراق ، وساحة حركات أرض الشام ، وساحة حركات فـارس وساحة حركات مصر .. الخ .

وكان في ساحة حركات العراق مثـلاً عدة جبهات . جبهة محور ديالي ، وجبهة محور دجـلة حتى الموصل ، وجبهة حركات محور الفرات ، وجبهة حركات جنوبي العراق ... الخ .

وكان في كل جبهة من الجبهـات مناطق حركات ، فمثلاً ساحة حركات دجـلة حتى الموصل شمالاً ، كان هناك منطقة حركات تكريت ومنطقة حركات الموصل . . الخ .

---

(١) هناك نوعان من الخطط (أ) الخطط التعبوية : هي خطط معركة معينة في ميدان قتـال معين ، من ذلك يتضح أن الخطط التعبوية تعني نتائج معركة واحدة محلية . (ب) الخطط السوقية (الاستراتيجية) : هي الخطط التي لها نتائج حاسمة على نتيجة الحرب كلها في كافة ميادين القتال .

(٢) منطقة الحركات : هي قسم من ساحة الحركات .

(٣) الجبهة : هي عدة مناطق حركات داخلة في حدود جغرافية معينة .

(٤) ساحة الحركات : هي الساحة التي يتمكن احد الخصمين من القتال فيها .

كان القائد العام في العراق مثلاً ، سعد بن ابي وقاص مسؤولاً عن ساحة حركات العراق كله ، وكان في جبهة دجلة حتى الموصل قادة مرؤوسون : عبدالله بن المعتم مسؤول عن هذه الجبهة كلها ، وربعي بن الأفكل مسؤول عن منطقة حركات الموصل [١] ، وهكذا كان العراق ساحة حركات فيه عدة جبهات في كل جبهة مناطق حركات عديدة ...

٢ ـ أما الخطط السوقية ، فهي الخطط التي يعدها القائد الأعلى لادارة الحرب في (ساحة الحرب) [٢] كلها ، ويكون لهذه الخطط السوقية تأثير على نتائج الحرب في مختلف ساحات الحركات والجبهات ومناطق الحركات (انظر المخطط الايضاحي في الملحق (أ) عن ساحات الحرب والقيادات ، وعن تفصيل القيادات ، وعن تفصيل ساحة الحرب) .

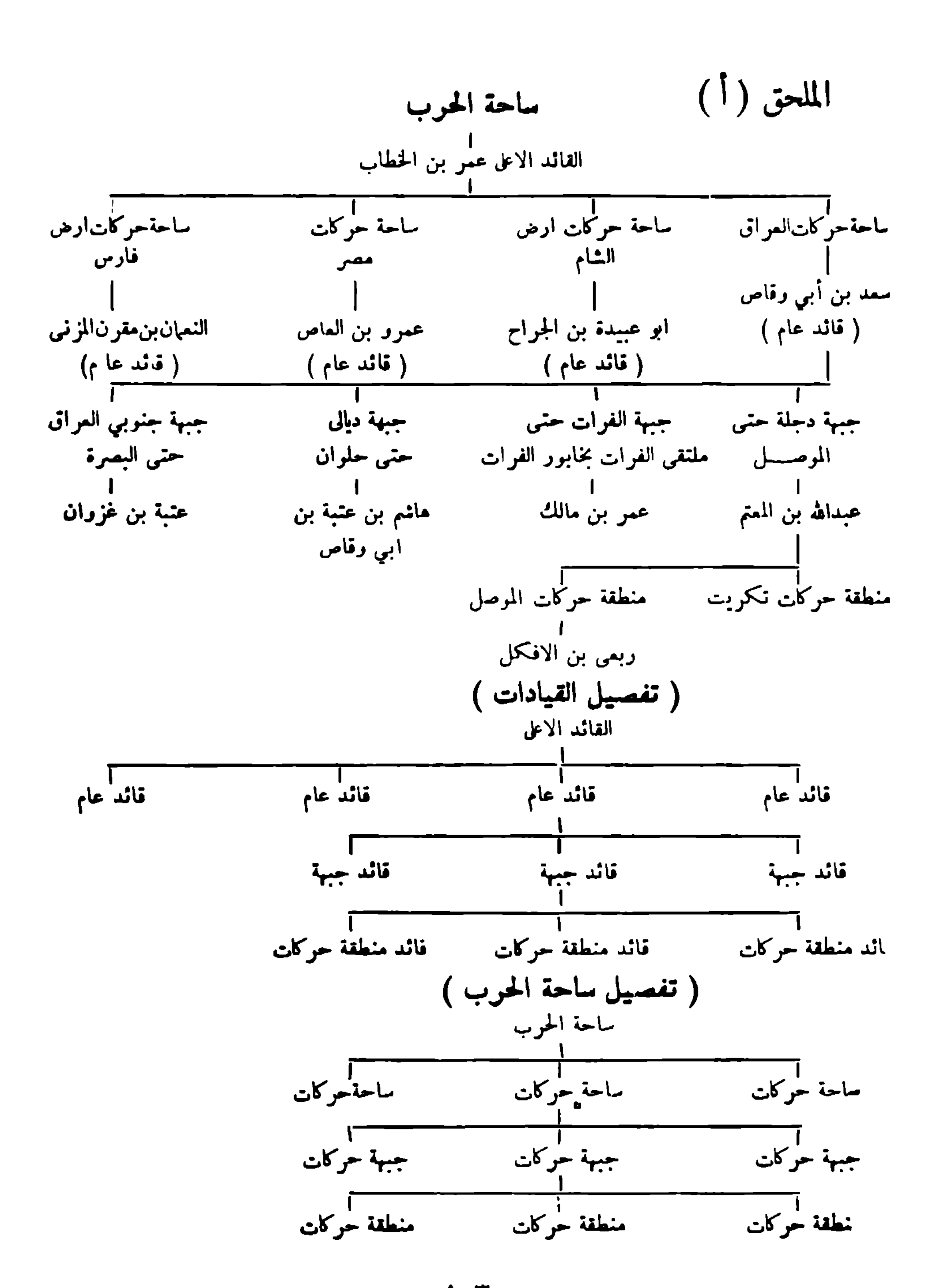
ان القائد الأعلى ، عمر بن الخطاب ، كان هو المسؤول الأول عن اعداد الخطط السوقية ، ويشمل ذلك ، اعداد هذه الخطط من الناحية العسكرية واصدار الوصايا أو الأوامر لتنفيذها ، وامداد جيوشه بالامدادات من الرجال والمعدات لادامة الحرب ، وتزويد تلك الجيوش بالأمور الادارية ومراقبة وصول تلك المواد الادارية الى جيوشه ، والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب وفي كل مكان ، واختيار القادة العامين والقادة المرؤوسين القادرين على تنفيذ أوامره ووصاياه نصاً وروحاً ...

٣ ـ لقد أنجز عمر بن الخطاب كل واجباته قائدا أعلى بشكل يدعو إلى التقدير العميق والاعجاب الشديد .

---

(١) انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة .

(٢) ساحة الحرب : هي جميع البلاد التي يحتمل أن يتقاتل فيها الفريقان المتخاصمان في البر والبحر .


الملحق (أ)
ساحة الحرب
القائد الاعلى عمر بن الخطاب
ساحة حركات العراق
ساحة حركات ارض الشام
ساحة حركات مصر
ساحة حركات ارض فارس
سعد بن أبي وقاص (قائد عام)
ابو عبيدة بن الجراح (قائد عام)
عمرو بن العاص (قائد عام)
النعمان بن مقرن المزني (قائد عام)
جبهة دجلة حتى الموصل
جبهة الفرات حتى ملتقى الفرات بخابور الفرات
جبهة ديالى حتى حلوان
جبهة جنوبي العراق حتى البصرة
عبدالله بن المعتم
عمر بن مالك
هاشم بن عتبة بن ابي وقاص
عتبة بن غزوان
منطقة حركات تكريت
منطقة حركات الموصل
ربعى بن الافكل
(تفصيل القيادات)
القائد الاعلى
قائد عام
قائد عام
قائد عام
قائد عام
قائد جبهة
قائد جبهة
قائد جبهة
ائد منطقة حركات
قائد منطقة حركات
قائد منطقة حركات
(تفصيل ساحة الحرب)
ساحة الحرب
ساحة حركات
ساحة حركات
ساحة حركات
جبهة حركات
جبهة حركات
جبهة حركات
نطقة حركات
منطقة حركات
منطقة حركات

تهيأت له الأسباب الجوهرية لإنجاز تلك الواجبات بكل جدارة وقد مر بنا بعض تلك الأسباب .

كان يؤمن بالشورى ، فلا يستقل برأيه ولا يبالي أن يأخذ الحكمة من أي وعاء ، وهذا يقلل من فرص الخطأ والاهمال .

وكان يحرص على جمع المعلومات من منابعها بشتى الطرق والاساليب ، وهذا يجعله يعمل على هدى وبصيرة ولا يسير أبداً مغمض العينين .

وكان يتسم بالحرص الشديد على الارواح ، وهذا يؤدي الى عدم زج جيوشه في المهالك دون مبرر .

وكان فطناً عالماً بعيد النظر ، ومن نتائج ذلك استكمال دراساته العسكرية بدقة واتقان مع ادخال أسوأ الاحتمالات في الحساب .

وكان شجاعاً يُعد لكل أمر عدّته ثم لا يحجم عن تنفيذ خططه ولا يتردّد ولا يتراجع .

وكانت له قابلية بدنية ممتازة تعينه على تحّمل المشاق والصعاب بصبر وحزم واقدام .

وكان يعرف عظم مسؤوليته وضخامة عبئها ، فلا يتردد في تحمل أعبائها ولا يتهرّب من نتائجها ، ولا يلقي بأعباء تلك النتائج على الآخرين .

وكانت له تجارب طويلة للحرب جندياً وقائداً مرؤوساً ومستشاراً خبيراً للرسول القائد ولخليفته من بعده ، كما كان خبيراً بمبادىء الحرب مطبقاً لها عالماً بتفاصيلها حريصاً على مراعاتها .

تلك هي الأسس الموضوعية التي تهيء لكل قائد أعلى فرصة النجاح في اعداد الخطط السوقية ، والتي تهيأت لعمر بشكل واضح ملموس قلّ أن نجد له مثيلاً في تاريخ الحروب بكل زمان ومكان ...

فلا عجب – بعد ذلك – أن تكون خططه السوقية دقيقة متكاملة عملية بعيدة عن الخاطر ، ولا عجب أن تكون نتائجها فتحاً مستداماً لم تتراجع راياته منذ أربعة عشر قرناً حتى اليوم .

لقد كان عهد عمر عهداً ذهبياً للفتح الإسلامي العظيم .

٤ – كان دستوره في الحرب أن يضع الأسس العامة ، ويعهد في تنفيذها الى ذي خبرة وأمانة ، ولا يتخلى عن تبعته العظمى في مصائر الحرب كل التخلـّي اعتماداً على القائد وحده ، اذ ليس القائد بالمسؤول الوحيد عن المصير .

فاذا رأى القائد العام رأياً وخالفه هو في رأيه، أعانه بالمدد والمشورة على الأخذ بالرأي الذي دعاه اليه ، وأبطل معاذيره بتوضيح الأمر واعانته عليه .

ولقد كان الى جانب السهر على الميادين عامـــة ، لا يغلّ يد القائد فيما يحسن أن تنطلق فيه ، فاذا تجـــاوز الامر سياسة الحرب العامة من فتح الميادين وفك الحصار وانتظار الهجوم ، فمن حقّ القائد عنده أن يختار لنفسه ولا ينتظر الرجوع اليه ، وأن يجري في ادارة المعركة على الوجه الذي تمليه ضرورة الساعة . استشاره أبو عبيدة في دخول الدروب خلف العدو ، فكتب اليه : « انت الشاهد ، وأنا الغائب، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب . وأنت بحضرة عدوك ، وعيونك يأتونك بالاخبار ، فان رأيت الدخول الى الدروب صواباً ، فابعث اليهم السرايا ، وادخل معهم بلادهم ، وضيّق عليهم مسالكهم وان طلبوا اليك الصلح فصالحهم ... » .

فهو يضع القواعد العامة للحملة كلها منذ بدايتها ، وهو يختار القائـــد الضليع بتسيير تلك الحملة ، وهو بعد هذا لا يعفي نفسه من التبعة ، ولا يعفي القائد من واجب الرجوع اليه في المواقف الحاسمة، ولا يغلّ يده فيما هو أدرى به وأقدر على الاختيار فيه ، ولا ينسى أن يعينه اذا خالفه في الرأي ليتفق

الرأيان المختلفان ؛ فاذا رجع القائد الى الحصار الذي أزمع أن يتركه مثلا ، رجع اليه وهو مؤمن بصواب ما يعمل ليستمد من الايمـــان بالصواب قوة لن يشعر بها وهو يؤدي عملا يخالف الصواب في تقديره .

وهذه السياسة هي التي جرى عليها عمر في جميع بعوثه وغزواتـــه وسراياه ، وهي السياسة التي لا يستطيع الحاكم أن يجري على غيرهافي حرب قديمة أو حديثه ؛ وقد جرى عليها فجعلته كاسب النصر كما يكسبه القائد في الميدان ، وجعلت بطل الفرس (رستم) المشهور في التورايـــخ والاساطير يقول : « ان عمر هو هازمـه في الميدان » و « أنه هو الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ! أكل كبدي ، أحرق الله كبده »[1]

وربما يتبادر الى الاذهان أن عمر كان مركزياً في قيادته يشلّ أيـــدي قادته العامين وقادته المرؤوسين ، وهذا وهم ليس له من الحق نصيب . انـه يضع الخطط العامة ويترك لقادته التفاصيل بعـــد ان يبذل قصارى جهده في اختيارهم لتحمل تبعاتهم بجدارة وقوة وايمان ... انه يضع الخطط السوقية ، ويترك لقادته أمر وضع الخطط التعبوية .

كان يشتد اغتباطه حين يرى قادتـه وعماله يتجردون لخير الرعية ويثني عليهم لذلك أعظم الثناء ؛ فقد كتب الى عمير بن سعد الانصاري الاوسي[2] وهو على حمص : « أقبل بما جبيت من فيء المسلمين» ، فلما أقبل عمير سأله عما صنع ، فقال : بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فولّيتهم جباية فيئهم ، حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شيء لأتيتك به ! » ، فقال عمر : « فما جئتنا بشيء ؟! » ، فلما أكد له أنه أنفق كل

---

(١) عبقرية عمر « ١٥٥ – ١٥٧ » .

(٢) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة« ٤٦٩ – ٤٧٥ »

شيء على أهل حمص قال : « جدّدوا لعمير عهداً »[1] .

لقد كان عمر قائداً سوقياً يعد الخطط السوقية ويصدر أوامره ووصاياه الى قادته العامين وقادته المرؤوسين مبيناً لهم السياسة العامة للحرب ، ثم يترك لهؤلاء القادة تحمل أعباء كل التفاصيل التنفيذية .

٥ - إن التاريخ ليذكر لنا نماذج حيّة رائعة من خطط عمر السوقية أصدرها الى قادته : أوامر جازمة صريحه ، ووصايا حاسمة واضحة ، كان من نتائجها العصر الذهبي للفتح الاسلامي في أيام عمر الفاروق .

بعد معركة (اليرموك) في أرض الشام ، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الحميري وسار حتى نزل بـ (الصُفّر)[2] ، فأتاه الخبر أن الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا بـ (فِحْل)[3] . وأتاه الخبر أيضاً بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص ، فكتب الى عمر في ذلك ، فأجابه : يأمره : بأن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم ، ويشغل أهل (فحل) بخيل تكون بأزائهم ؛ واذا فتح دمشق سار الى (فحل) ، فاذا فتحت عليهم سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص بالاردن وفلسطين[4] .

تلك هي الخطة السوقية لعمر التي بموجبها فتحت أرض الشام (سورية والاردن ولبنان وفلسطين) ، ومنها يتضح أن عمر بدأ (بهدف الحركات

---

(١) بقي عمير والياً على حمص وقنسرين طيلة أيام عمر بن الخطاب انظر ابن الاثير «٣/٨» و « ٣ / ٣٠ » والطبري «٣/ ٢٢٧» و «٣/٣٠٤» و «٣/٣٣٩»

(٢) الصفـّر : موضع بين دمشق والجولان . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٥/٣٦٧».

(٣) فحل : اسم موضع بالشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان «٦/٣٤٠ » .

(٤) ابن الاثير (٢ / ١٦٤) .

الخطير)[1] وهو مدينة دمشق عاصمة البلاد : وبعد فتحها تتوجه الجيوش الى الاهداف الثانوية .ولكي يحرم الروم وحلفاءهم من تعاون قواتهم في مختلف مناطقها عند فتح دمشق، أمر عمر بتخصيص قوات من الفرسان لمشاغلتهم اثناء محاولة المسلمين فتح دمشق .

لقد ادى تطبيق هذه الخطة السوقية الى فتح أرض الشام بسهولة ويسر .

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة أمر عمر أبا عبيدة بن الجراح أن يصرف جند العراق الى العراق – وهم الذين شهدوا معركة اليرموك – وأمرهم بالحث الى سعد بن أبي وقاص[2] وذلك لتحشيد أكبر قوة ممكنة في الزمان والمكان المناسبين ، فكان لحضور هؤلاء معركة القادسية أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة .

ان مهمة القائد الاعلى هي أن يحشد أكبر عدد من الرجال قبل المعركة الحاسمة ليضمن لجيوشه النجاح والنصر ، فاذا كانت قوات العراق قد شهدت معركة اليرموك الحاسمة ، فلا مبرّر لبقائها في أرض الشام بعد انتصار المسلمين في تلك المعركة وبعد فتح دمشق ، ومن الضروري أن تعمل تلك القوات في ساحة أخرى أكثر أهمية من ساحات أرض الشام ، خاصة بعد انكشاف الموقف في تلك الساحات ، لان المعارك المتوقعة فيها لا تزيد على معارك تعبوية هي من أجل استثمار الفوز الذي حققه المسلمون في اليرموك وبعد فتح دمشق .

وكتب الى سعد بن أبي وقاص بعد اختياره لحرب فارس : « اذا انتهيت

---

(١) هدف الحركات الخطير : هو الهدف الذي متى ما تم الاستيلاء عليه تنتهي الحرب .أو أن العدو يضطر الى قبول الصلح ؛ وتؤلف عواصم البلاد هدف الحركات الخطير .

(٢) الطبري (٢ / ٦٢٧)

الخطير) [1] وهو مدينة دمشق عاصمة البلاد : وبعد فتحها تتوجه الجيوش الى الاهداف الثانوية .ولكي يحرم الروم وحلفاءهم من تعاون قواتهم في مختلف مناطقها عند فتح دمشق، أمر عمر بتخصيص قوات من الفرسان لمشاغلتهم اثناء محاولة المسلمين فتح دمشق .

لقد ادى تطبيق هذه الخطة الـوقية الى فتح أرض الشام بسهولة ويسر .

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة أمر عمر أبا عبيدة بن الجراح أن يصرف جند العراق الى العراق – وهم الذين شهـدوا معركة اليرموك – وأمرهم بالحث الى سعد بن أبي وقـاص [2] وذلك لتحشيد أكبر قوة ممكنة في الزمان والمكان المناسبين ، فكان لحضور هؤلاء معركة القادسية أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة .

ان مهمة القائد الاعلى هي أن يحشد أكبر عدد من الرجال قبل المعركة الحاسمة ليضمن لجيوشه النجاح والنصر ، فاذا كانت قوات العراق قد شهدت معركة اليرموك الحاسمة ، فلا مبرّر لبقائهـا في أرض الشام بعد انتصار المسلمين في تلك المعركة وبعد فتح دمشق ، ومن الضروري أن تعمل تلك القوات في ساحة أخرى أكثر أهميـة من ساحات أرض الشام ، خاصة بعد انكشاف الموقف في تلك الساحات ، لان المعارك المتوقعة فيها لا تزيد على معارك تعبوية هي من أجل استثمار الفوز الذي حققه المسلمون في اليرموك وبعد فتح دمشق .

وكتب الى سعد بن أبي وقاص بعد اختياره لحرب فارس : « اذا انتهيت

---

(١) هدف الحركات الخطير : هو الهدف الذي متى ما تم الاستيلاء عليه تنتهي الحرب .أو أن العدو يضطر الى قبول الصلح ؛ وتؤلف عواصم البلاد هدف الحركات الخطير .

(٢) الطبري (٢ / ٦٢٧)

الى القادسية ، وهو منزل رغيب خصيب دونه قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مسالحك [1] على انقابها [2] ، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجِراع [3] بينها، ثم الزم مكانك فلا تبرحه ؛ فانك اذا أحسّوك [4] أنغصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدّهم وجدّهم ، فان أنتم صبرتم لعدوّكم واحتسبتم لقتاله وقويتم الامانة ، رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الاخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم الى ادنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليهم أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح » [5] .

ونلاحظ في هذه الخطة السوقية الفذّة أموراً عسكرية كثيرة أهمها : أولاً ، ان عمر أصاب في معرفة المنطقة التي ستدور عليها المعركة الحاسمة ، وهي القادسيّة . وثانياً ، ان معلوماته عن طبيعة أرض المعركة دقيقة جداً . وثالثاً ، انه أعطى خطة واضحة للعمل : ترسل المسالح لتطوق منطقة القادسية وتستطلع أخبار العدو وتمنعه من التسرب الى مواضع المسلمين الاصلية وتقوم هذه المسالح بواجب حماية القوات الضاربة للمسلمين ؛ وتبقى قوات المسلمين الضاربة في منطقة قريبة من الصحراء لكي تنسحب اليها عند الضرورة

---

(١) المسالح : جمع مسلحة ، وهي الحامية الامامية او المركز الذي تقيم فيه قوة عسكرية وهما كالمخافر الحديثة .

(٢) انقاب : جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل.انظر ترتيب القاموس المحيط (٤ / ٣٧٦) والمعجم الوسيط « ٢ / ٩٥٢ » . وهي تعني : الطرق التقربية للعدو الى قوات المسلمين .

(٣) الجراع : جمع أجرع ، وهي الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل : انظر المعجم الوسيط « ١ / ١١٨ » .

(٤) حس : حسّ الشيء حساً ، واستأصله وحسوهم استأصلوهم قتلا .

(٥) انظر عبقرية عمر « ١٤٥ » .

بسهولة ودون خسائـــر في الارواح والمواد . رابعاً : ان العدو اذا اندحر كانت هذه المعركة قاضية على قواته الضاربة ، أما اذا انتصر العدو كان من السهولة على المسلمين الانسحاب الى الصحراء التي يعرفونها ويطيقون القتال عليها ولا يعرفها العدو ولا يطيق القتال في مجاهلها ، وعند ذاك يفشل العدو حتماً في مطاردته المسلمين فيعيد المسلمون على عدوهم الكرة حتى يأتي الله بالفتح ...

انها خطة سوقية سليمة مضمونة النجاح في حالتي النصر أو الاندحار

وفي سنة سبع عشرة هجرية (٦٣٨م) قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بـ (حمص) ، فقد أرسل أهـــل (الجزيرة) الى امبراطور الروم يحثونـه على ارسال الجنود الى الشام ويذكرون له انهم سيعاونونه . وحين عـــلم المسلمون باجتماع الروم وأهل الجزيرة ، سحب أبو عبيدة مسالحه من مواضعها وعسكر بفناء مدينة حمص . وأقبل خالد من (قِنَّسْرِيْن) [1] اليهم ، فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصين الى مجيء الغياث ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار آخرون بالتحصين ومكاتبة عمر ، فأطاعهم أبو عبيدة وكتب الى عمر بذلك . وقد كان عمر اتخذ في كل مصر خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عـــدة للحوادث الطارئة ، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس ، وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة البـــاهلي ونفر من أهل الكوفة ، وكان في كل مصر من الامصار الثمانية على قدره ، فان تأتها آتية ركبها الناس وساروا الى أن يتجهز الناس ، فلما سمع عمر كتب الى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس

---

(١) قنسرين مدينة تقع في ديار ربيعة منها الى حلب مرحلة صغيرة ومنها الى معرة النعمان مرحـــلة كبيرة . انظر تقويم البلدان « ٢٦٦ – ٢٦٧ » ومعجم البلدان « ٧ / ١٦٨ » والمسالك والممالك لابن خرداذبة « ٧٥ » وأحسن التقاسيم « ١٥٤ » والبلدان لابن الفقيه « ١١١ ».

مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فان أبا عبيدة قد احيط به ، وتقدم اليهم في الجد والحث » ، وكتب اليه أيضاً : « سرح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند ، وليأت (الرقة) فانأهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وسرح عبدالله بنعبداللهبن عتبان الى (نصيبين) ثم ليقصد (حرانّ) و (الرها) ، وسرح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وسرّح عياض بن غنم ، فان كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعاً الى عياض بن غنم »[1]؛ فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على (الفراض)[2] وغير الفراض ، وتوجه كل أمير الى الكورة التي أمر عليها . وخرج عمر بنفسه من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل (الجابية)[3] ؛ ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص وهم معهم خبر الجنود الاسلامية تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم . عند ذاك استشار أبو عبيدة خالداً في الخروج ، فخرج اليهم وقاتلهم ففتح الله عليهم . وقدم القعقاع ابن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام، فكتب أبو عبيدة بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك ، فكتب اليه : « أشركوهم، فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم ، وقال : « جزى الله الكوفة خيراً : يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار »[4] .

---

(١) الطبري (٣/١٥٤) وابن الاثير (٢/٢٠٥) .

(٢) الفرض : جمع فرضة وهي المشرعة ، والاصل في الفرضة الثلمة في النهر.والفراض تخوم الطرق والشام و لجزيرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٠٠)

(٣) الجابية : قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران . التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣) .

(٤) الطبري (٣/١٥٤) وابن الاثير (٢/٢٠٥)

أول ما نلاحظ من خطة عمر الوقية هذه ، انه كان قد أعد في الامصار خيولاً للطوارىء تتحرك بانذار قصير الى الاماكن المهددة بالخطر من دار الاسلام ، وقد حمى عمر بعض المراعي لتلك الخيول ، فحمى (الربذة)[1] - مثلاً - لخيول المسلمين[2] ، وكان عنده خيل موسومة على أفخاذها : حبيس في سبيل الله[3] ، يحمل الغزاة عليها . ونلاحظ ثانياً ، أن عمر أمر بمشاغلة قوات الروم في حمص بعد ان حرم الروم من معاونة أهل الجزيرة الاشداء وذلك بمهاجمتهم في عقر دارهم . ونلاحظ ثالثاً أن الامدادات تحركت بسرعة هائلة من العراق ومن الحجاز باتجاه حمص لضرب القوات الرومانية ، مما جعل التفوق بالعدد الى جانب المسلمين . ونلاحظ رابعاً ، ان هذه الاجراءات السريعة الحاسمة رفعت معنويات المسلمين وحطمت معنويات أعدائهم .

ان حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد الى هدف بعيد ليس سهلاً .. انه يكاد يكون مستحيلاً حتى في أيامنا الحاضرة هذه ، فكيف أنجزه المسلمون قبل أربعة عشر قرناً ؟؟ وهذا يدلنا على ما بلغته الجيوش الاسلامية حينذاك من دقة ومتانة في التنظيم ، وهو بعض الجواب على تساؤل المؤرخين قديماً وحديثاً: كيف تم الفتح الاسلامي بالسرعة التي تم بها ؟؟! إن عمر شخصياً كان يتدخل في أدق تفاصيل تنظيم هذه الجيوش حسب خطة مرسومة وتفكير عميق . قال السائب بن يزيد : « رأيت عمر بن الخطاب السنة يصلح أداة الأبل التي يحمل عليها في سبيل الله براذعها وأقتابها ، فاذا حمل الرجل على

---

(١) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال على طريق ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٢١) .

(٢) ابن الاثير (٢/٢٠٣) ،

(٣) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٦) .

البعير جعل معه أداته » ، وكان عمر يُغزي الأعزبَ عن ذي الحليلة ، ويغزي الفارس عن القاعد ، وكان يعقب بين الغزاة [1] ... فما أروع دقة تفاصيل هذا التنظيم ، وما أحرى انتصار مثل هذه الجيوش التي على رأسها مثل عمر قائداً أعلى .

وحين قدم الأحنف بن قيس التميمي على رأس وفد على عمر بعد فتح (تُستَر) كما ذكرنا سأل عمر الوفد قائلاً « لعلّ المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم ! » ، وكان يشير الى انتقاض الهرمزان الذي كان مع الوفد بعد صلحه مع المسلمين ، فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وان ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ؛ وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس » فقال عمر : « صدقتني والله » وأذن في الانسياح في بلاد فارس [2] .

واطمأن عمر الى انتصار جنده في معركة (نَـهَـاوَنـْد)الحاسمة ، فذكر نصيحة الأحنف له بالانسياح في أرض فارس ، فأمر أبا موسى الأشعري أن يسير من البصرة الى نهر منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه أمره ، ودفع لواء خراسان الى الأحنف بن قيس ، ولواء (أردشير خرّة) الى مجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء (اصطخر) الى عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء (فسا) و (دارا بجرد) الى سارية بن زنيم الكناني ، ولواء

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٠٦) .

(٢) الطبري (٣ / ١٨٤ - ١٨٥) وابن الاثير (٢ / ٢١٣) .

(كرمان) الى سهيل بن عدي ، ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو ، ولواء (مكران) الى الحكم بن عمير التغلبي وأمدّهم عمر بنفر من أهل الكوفة ، فأمدّ سهيل بن عدي بعبدالله بن عبدالله بن عتبان ، وأمدّ الأحنف بعلقمة ابن النضر وبعبـــدالله بن ابي عقيل وبربعي بن عامر ، وأمد عاصم بن عمرو بعبدالله بن عمير الأشجعي ، وأمدّ الحــكم بن عمير بشهـــاب بن المخارق في جموع [1] ..

هذه الخطة السوقية لعمر ، الذي بدأ تنفيذها بعد معركة (نهاوند) الحاسمة ، هي خطة لاستثار الفوز من أجل القضاء على مقـــاومات الفرس التعبوية في بلادهم وتطهـــير أرض فارس من الجيوب المعادية للمسلمين . ان هذه الخطـة الرصينة حرمت الفرس من تعاون قواتهم في منطقة معينة في وقت معين تحت قيادة موحدة ، وجعلت أهل كل منطقة يدافعون عن منطقتهم وحدهم أمام تيار المسلمين الجارف الذي حشد له عمر اكبر عدد ممكن من الرجال بقيـادة أكفأ القادة البارزين المجربين الذين تسنموا مناصبهم بجدارة تامة وبدون محاباة.. أو عاطفة .

تمّ فتح فارس بموجب هذه الخطة ، فوجد الفرس أن حكم العرب المسلمين أكثر انصافاً ومعدلة وأقلّ ارهاقاً من حكم الأكاسرة ؛ فقد تركهم المسلمون لم يزعجوهم عن دينهم ولم يتدخلوا في شؤونهم ، ثم جعلوا لأمراء الولايات من الاستقـــلال أكثر مما كان لهم في عهد (يزدجرد) وأسلافه ، كما تركوا لهم المناصب العامة ولم يحاولوا استغلالها لأنفسهم ، مكتفين بالجزية يقتضونها وفاقاً للمعاهدات المعقودة بينهم وبين مختلف الولايات [2] .

وفي فتح مصر ، أشفق عمر على جيش عمرو بن العـــاص ، فبعث الزبير

---

(١) ابن الأثير (٢/٢١٤) .

(٢) الفاروق عمر (٢/٥٨).

ابن العوام في اثني عشر الفاً[1] وبذلك استطاع عمرو فتح أرض وادي النيل .

هذه هي بعض خطط عمر السوقية: خطـــة لفتح العراق ، وخطة لفتح أرض الشام ، وخطة لفتح بلاد فارس ، وخطة لفتح مصر هذا الفتح الذي امتدّ من وادي الكنانة الى ليبيا وارض النوبة .

تلك أمثلة رائعة من خططه السوقية للفتح ، تصوّر لك كيف نهض عمر بتبعات قيادته قائداً أعلى لجيوش المسلمين في عصرها الذهبي . انهـا تكشف لك عن السر في قدرته الممتازة على الاضطلاع بأعبائه الجسام على نحو لا يزال مثاراً لعجب الناس وإعجابهم ، كما تبين لك كيف كانت قابليات عمر القيادية من أهم الأسباب التي هيأت لامتداد الفتح ودفعت المسلمين إليه ورغّبتهم فيه. لقد كانوا يرون أمير المؤمنين خـير كفيل بحقوقهم وبمن يخلّفون وراءهم من عيالهم وكانوا يرونه يؤثر على نفسه وأهله ويؤدي لكل ذي حق حقـــه فلا جرم انهم ليندفعون الى ميادين القتال وكلهم الطمأنينة الى غدهم والى مصير أبنائهـــم وذويهم . وما ضر أحـدهم ان يُقتل في سبيل الله وفي سبيل الفتـح الاسلامي ، وهو على يقـــين أن بنيه سيُجزون اذا استُشهد بخير مما كانوا يجزون به اذا ظل حياً، وانه ستفتح له أبواب الجنة بما وهب الله نفسه مجاهداً في سبيله[2] .

٦ – واذا كتب لخطط عمر السوقية النجاح الفذ ، فلأنه بناها على أسس قوية ، ولعل من أهم هذه الأسس هو تطبيقه مبـــدأ (التحشد تطبيقاً بلغ حد الروعة عدداً وُعدداً ، فكان قادته لا يخوضون غمار معركة قبل ان تتوالى عليهم امدادات عمر : الخيل تتبعها الخيل ، والرجال تتبعها الرجال ،

(١) انظر فتوح مصر والمغرب (٩٢) وانظر كتاب : الولاة وكتاب القضاة (٨) .
(٢) انظر الفاروق عمر (٢/٢٢٦).

كما يقول عمر عن تلك الامدادادات .

لقد حرم ابو بكر الصديق المرتدين من مشاركة المجاهدين في شرف الجهاد من أجل نشر الاسلام ولتكون كلمة الله هي العليـــا ، فقد كتب الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم : « استنفروا من قاتل أهل الردّة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزون احـــد ارتدّ حتى أرى رأيي » ، فلم يشهد الأيام مرتد [1] .

اما عمر ، فقد استفتح خلافته بقوله : « انه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً ؛ وقد وسّع الله عزّ وجل وفتح الأعاجم » ، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام الا امرأة ولدت لسيّدها ، وجعـل فداء كل انسان سبعة ابعرة وستةأبعرةالا حنيفةوكندة ، فانهخففعنهم لقتل رجالهم ، فتتبـع النسـاء بكل مكان وفدوهن [2] . كما امر عمر باستنفار من حسن إسلامه من أهل الردة [3] ، وندب أهل الردة فأقبـلوا سراعاً من كل أوب فرمى بهم الشام والعراق [4] .

لقد كان عمر ، يرى أن العرب مادة الإسلام ، وأنهم هم مـــادة الفتح الإسلامي قادة وجنوداً ، لذلك كتب عمر الى ملك الروم حين أخبره الوليد ابن عقبة عن دخول بعض القبائل العربية من أهـــل الجزيرة ديار الروم : « بلغني أنّ حياً من احياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنّه الينا أو لنخرجنّ النصارى اليك » ، فأخرجهم ملك الروم ، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرّق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة وبلاد الروم . فكل إيادي

---

(١) الطبري (٢ / ٥٥٠) و (٢ / ٥٥٤) .

(٢) الطبري (٢ / ٥٤٩) وابن الاثير (٢ / ١٤٧) .

(٣) ابن الاثير (٢ / ١٦٦) .

(٤) الطبري (٢ / ٦٣٤) .

في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف . وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من (تغلب) الا الإسلام ، فكتب فيهم الى عمر ، فكتب اليه عمر : « انما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم الا الإسلام ، فدعهم ألاّ ينصرّوا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الإسلام [1] ، وأضعف عمر الصدقة عليهم عوضاً عن الخراج [2] ، فقد اراد عمر ان يأخذ الجزية منهم فانطلقوا هاربين في أرض الله الواسعة ، فقال عبادة بن النعمان التغلبي [3] : « يا أمير المؤمنين ! ان بني تغلب قد علمت شوكتهم ، وأنهم بازاء العدو ، فاذا ظاهروا عليك العدو اشتدّت مؤونتهم ، فان رأيت أن تعطيهم شيئاً ، فافعل » ، فصالحهم عمر على مضاعفة الصدقة عليهم عوضاً عن الجزية [4] .

انه استمال قلوب العرب بكل ذلك وأراد أن يشعروا كل الشعور بعزّتهم وكرامتهم ، وبذلك استطاع أن يطبق مبدأ (التحشد) على العرب كافة وبعثهم الى ساحات القتال جيوشاً ومددا ...

٧ – وكانت الوحدة السياسية لبلاد العرب ، بعض ما شُغِل به عمر في خلافة ابي بكر الصديق فلما استُخْلف كان تثبيت هذه الوحدة وتوطيد دعائمها أول ما اتّجه اليه همُّه . وقد هداه تفكيره الى أن هذه الوحدة لن تكون سليمة الا أن تصفو من كل شائبة ، وذلك بأن يكون الجنس العربي كلّه متحداً في موطنه وعقيدته كاتحاده في لغته . واليهودية والنصرانية لا تزالان قائمتين في شبه الجزيرة ، أتراه يستطيع اجلاءهما عنها من غير أن

---

(١) ابن الاثير (٢ / ٢٠٦) .

(٢) الخراج (١٤٤) .

(٣) هكذا ورد في الخراج « ١٤٣ » . وفي البلاذري « ١٨٥ » ورد اسمه : النعمان بن زرعة أو زرعة بن النعمان .

(٤) الخراج « ١٤٣ » البلاذري « ١٨٥ – ١٨٦ » .

يخالف كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ؟

لقد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود أول ما نزل بيثرب ، فلما نقضوا عهدهم وحاولوا الغدر به ، أجلاهم عن المدينة . ثم انه أجلاهم عن أكثر مواطنهم في شبه الجزيرة لما ناصبوه العداوة ، ألا يدلّ ذلك على أن بقاء اليهود في موطنهم لم يكن حقاً لهم يجب احترامه ، وان موادعتهم ، كانت سياسة قضت بها مصلحة الدولة أوّل العهد بيثرب ، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم مصلحة الدولة العليا لا تستقيم بها عدل عنها الى سياسة غيرها ؟! ومصلحة الدولة العليا توجب في رأي عمر أن تُوحّد العقيدة في شبه الجزيرة العربية كلها . لذلك كان من أول ما استفتح به عهده أن أجلى نصارى (نَجْران) عن شبه الجزيرة ، فأمرَ يَعْلى بن أمية الا يفتنهم عن دينهم وان يخرج معهم من اقام على نصرانيته ، وان يعطوا بالعراق ارضاً كأرضهم بنجران ، وان تحسن معاملتهم [1] . كذلك فعل بمن بقي من اليهود بخيبر او بفدك : اجلاهم عن ارضهم الى الشام ، وعوضهم عنها بمال يعدل قيمتها ، ولم يسىء الى احد منهم . بذلك خلصت

---

(١) انظر الخراج لابي يوسف « ٨٧ - ٨٨ » .

وفيه ما كتب لهم عمر : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب به عمر امير المؤمنين لاهل نجران . من سار منهم آمن بأمان الله ، لا يضره احد من المسلمين، وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه .

أما بعد . فمن مروا به من امراء الشام وامراء العراق ، فليوسقهم (الوسق : ستون صاعاً. قال الخليل : الوسق حمل البعير . واوسق البعير : حمّله حمله) من حرث الارض ، فما احتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله وعقبة لهم مكان ارضهم لا سبيل عليهم فيه لاحد ولا مغرم .

« أما بعد . فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فانهم اقوام لهم الذمة ، وجزيتهم عنهم متروكة اربعة وعشرين شهراً بعد ان يقدموا ، ولا يكلفوا الا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم » ..

شبه الجزيرة العربية من كل عقيدة الا الاسلام ، فتوطدت فيها قواعد الوحدة التي قصد اليها امير المؤمنين .

هذا تصوير واضح للباعث الذي دفع الى اخراج اليهود والنصارى من شبه الجزيرة ، وهو في ذلك لم يخالف سنة ولم يخرج عليها ، فعهد رسول الله ﷺ مع اليهود والنصارى لم يكن سنة تثبت حكماً ، بل كان سياسة تغيرت في عهد الرسول ﷺ ، فلا بأس ان تتغير بعده . وانما غيرها عمر لان احداث الوقت وامتداد الفتح وشدة الحرص على تمكين اواصر الوحدة في شبه الجزيرة قضت بتغييرها ، وما كان عمر ليجمد على عهد تغير عليه العهد واصبح مضراً بمصلحة الدولة وسياستها العليا ، فكيف به وهو موقوت بطبيعته ، ينقضي بانقضاء مدته ، ولا يتجدد الا اذا رضي امير المؤمنين بتجديده .

لقد استند عمر في اجلاء اليهود والنصارى الى ما روي عن رسول الله ﷺ انه قال : « لا يجتمع ببلاد العرب دينان » ، وان عمر خافهم على المسلمين [١] وان نصارى نجران بعد ان استخلف عمر اصابوا الربا وكثروا فخافهم على الاسلام فأجلاهم [٢] ، ولكن عمر امر عماله بالعراق والشام ان يعوضوهم من ارضهم وان يحسنوا معاملتهم ، ولو انه اجلاهم لانهم نقضوا عهدهم لما لطف بهم كل هذا اللطف ، ولما احسن معاملتهم كل هذا الاحسان .

ولكن ، لا يكفي لتثبيت دعائم الوحدة في بلاد العرب الا يبقى بها دين غير الاسلام ، اذا بقي من الفوارق بين اهلها من العرب ما يجعلهم يشعرون ان بعضهم اكثر حرية من بعض او اوفر كرامة من بعض ، واذا لم تقم المساواة الصحيحة الكاملة بينهم علماً على سلامة تضامنهم . وقد بقيت بعض

---

(١) الخراج « ٨٧ » .

(٢) البلاذري « ٧٧ » .

الفوارق بينهم بسبب الردة والحروب الـتي قضت عليها ، اما وعمر يريـــد الوحدة الصحيحة الكاملة ، فلا بد من القضاء على هذه الفوارق بازالة اسبابها ، لذا رفع عن اهل الردة ما كان ابو بكر قد فرضه عليهم : الا يحـــاربوا في صفوف المسلمين ، كما امر برد السبي من العرب الى عشائرهم ورد حريتهم اليهم لانه كره ان يكون السبي سنة في العرب . بذلك استفتح عهداً سرى معه في نفوس العرب جميعاً روح اشعرهم – على اختلاف مواطنهم من شبه الجزيرة – بانهم امة واحدة ، لها هدف واحد مشترك ، وتوجهها سياسة عامة ومصلحة عليا يهيمن عليها عمر .

هذه هي المصلحة العليا التي املت على عمر ما قدمت تحقيقاً لوحدة العرب تحت ظل الاسلام [١] ، وبذلك اصبح العرب المسلمون قـــوة جبارة وجدت متنفساً في الفتـح الاسلامي واستطاعت تحمل اعبائـــه الجسام بكل جدارة واندفاع .

ان قرار توطيد اركان الوحدة العربية في شبه الجزيرة العربيـة تحت لواء الاسلام ، وذلك بالقرارين الـوقيين : لا يجتمع ببلاد العرب دينان ، ولا فرق بين العرب في الحقوق والواجبات ، هو قرار مصيري ما كان الفتح الاسلامي في عهد عمر ليتم بمثل ما تم عليه من قوة وسعة وشمول وسرعة ، لو لم يتخذه عمر هدفاً حاسماً ويعمل على وضعه في حيز التنفيذ بحزم وحكمة ، لان الفتـح لا بد ان يستند على قاعدة امينة ، وشبه الجزيرة العربيـــة كانت قاعدة [٢] الفتح التي انطلق منها مكتسحاً الحدود والسدود والعقبات .

---

(١) انظر الفاروق عمر « ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٥ » .

(٢) القاعدة : هي البلاد التي يستند اليها الجيش قبل شروعه في الحركات . انظر الجغرافية العسكرية « ١١ »

٧ – ولكن هذه القاعدة الأمينة وهي شبه الجزيرة العربية كانت (قاعدة حركات)[١] بالدرجة الاولى عليها تستند الجيوش الاسلامية في الفتح الاسلامي الاول ومنها تنطلق الى واجباتها وعلى سكانها تعتمد في تكوينها وتزويدهـا بالرجال وادامة سيل امدادها بالجاهدين .

ولم تكن هذه القاعدة الامينة (قاعدة تمـوين)[٢] للجيوش الاسلامية بالمعنى الواسع لقاعدة التموين ، لان المسلمين كانوا يأخذون منها السلاح والعتاد الضروري لخوض معاركهم ، ويتزودون منها بما يبلغهم مناطـق حركاتهم من الارزاق وهي المنبع الاول لابلهم وخيولهم ، ولكنهم اذا وصلوا الى مناطق الحركات تزودوا من هناك بمتطلباتهم الادارية من سلاح وعتاد وارزاق وابـل وخيل وتجهيزات ، ويكون اعتمادهم الاول على ما يفييء الله به عليهم منهـا نتيجة للمعارك التي يخوضونها وعلى الجزية والخراج والغنائم والانفال ... الخ التي يحصلون عليها نتيجة لتلك المعارك .

هذا هو الفرق بين قاعدة الجيوش الاسلامية الامينة ، وبين قواعدالجيوش الغازية الاخرى : قاعدة المسلمين قاعدة حركات ، وقاعدة غير المسلمين قاعدة حركات وقاعدة تموين على حد سواء .

من هنا جاءت الفروق بين التشريعات الاسلامية التي وضع عمر اكثراسسها وبين التشريعات غير الاسلامية ، فما هي تلك التشريعات والاسس التي قررها المسلمون الاولون وعلى رأسهم امير المؤمنين ؟؟

شغل عمر بكثرة الاموال التي كان عماله يبعثون بها ، ورأى ان لا بد من

---

(١) قاعدة الحركات: هي القاعدة التي يشرع منها الجيش او تشرع منها الجيوش في الحركات الفعلية وتستند عليها .

(٢) قاعدة التموين : هي البلاد او المدينة التي يأخذ الجيش مهماته وارزاقه منها .

وضع نظام لاحصائها وتوزيعها . ولم تكن هذه الاموال ما يؤديه المسلمون في شبه الجزيرة العربيـة من الزكاة والصدقات ، فتلك كانت توزع على الذين نزل فيهم قوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله، والله عليم حكيم) [1] ، وكان الكثير من هذه الصدقات لا يرسل الى المدينة ، بل يوزع على الفقراء والمساكين من اهل القبائل والامم التي تؤديها . فاما ما كان يرسل منها الى المدينة ومعظمه من الابل والماشية ثم يفيض بعد التوزيع عـن حاجة من ورد ذكرهم في آية الصدقات ، فكان يوسم بيسم خاص ويوضع على مقربة من المدينة بمكان اطلق عليه اسم الحمى . فاذا غزا المسلمون اعانوا بهذه الابل والاموال من لا يجد دابة تحمله او سلاحاً يقاتل بـه ، وعالوا فقراء المسلمين بما بقي منها .

واما ما كان المسلمون يغنمونـه في غزوات رسول الله ﷺ من الفيء ، فكان هو يوزعه بعد المعركة ولا يبقي منه شيئاً . وقد سار ابو بكر سيرته وصنع صنيعه ، فكان ما يرد من فيء العراق يوزع بين اهل المدينة ولا يبقى منه شيء

وجرى الأمر على ذلك في العهد الاول من خلافـة عمر ، ولكن اتساع رقعة الفتح زاد في أموال الفيء ، كما فتح مورداً آخر أغزر مادة وأبقى ، ذلك هو مورد الخراج والجزية ، فقد صالح المسلمون أهل البلاد التي فتحوها في العراق وفارس وفي أرض الشام ومصر ، على أن يدفعوا جزية كان متوسطها

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبـة « ٩ : ٦٠ » . وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير « ٤ / ١٨٥ » والبغوي بهامش ابن كثير « ٤ / ١٨٦ » وتفسير الكشاف « ٢ / ٣٨ » وانوار التنزيل « ٣ / ٧٢ » وفتح الباري بشرح البخاري « ٨ / ٢٤٨ » .

على كل رأس دينارين [1] ، وذلك فضلاً عن الخراج الذي كان الزراع يدفعونه عن أرضهم ، فينفق جانب منه على مرافقهم وعلى تنظيم الحكم فيهم، ويرسل ما بقي منه بعد ذلك الى المدينة ، وقد بلغت غزارة هذا المورد قبل أن يتم فتح فارس وقبل أن يبدأ غزو مصر مبلغاً حمل الخليفة على التفكير في اقامة نظام مالي للدولة الناشئة .

قدم أبو هريرة من البحرين ، فسأله عن الناس ثم قال : «ما جئت به ؟» قال : « جئت بخمسمائة الف درهم » فدهش عمر وقال : « هل تدري ماذا تقول ؟ » ، فأعاد ابو هريرة أنه جاء بخمسمائة الف درهم . وظن عمر ان الرجل يبالغ فكرر عليه السؤال ؛ فلما سمع الجواب الاول قال له : « انك ناعس فارجع الى أهلك فنَم ، فاذا اصبحت فأتني» . فلما غدا عليه ابو هريرة وأكد له انه جاء بخمسمائة الف درهم ، قال عمر للناس : « انه قدم علينا مال كثير ، فاذا شئتم ان نعدّه لكم عداً ، وان شئتم ان نكيله لكم كيلاً » ، فقال له رجل : « يا امير المؤمنين ! اني رأيت هؤلاء الاعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه » . فدوّن عمر الديوان [2] .

وقيل : ان عمر استشار الناس في تدوين الديوان ، فقال له علي بن ابي طالب : « تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تبق منه شيئاً » ، وقال عثمان بن عفان : « أرى مالاً كثيراً يسع الناس ، وان لم يُحصَوا حتى نعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيت ان ينتشر الامر » ، فقال الوليد بن هشام ابن المغيرة : « يا امير المؤمنين ! قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديواناً وجنّدوا جنوداً » ، فدوّن ديواناً وجنّد جنوداً » ، فأخذ بقوله ، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نسّاب

---

(1) انظر تفصيل ذلك في الخراج (٢٨—٣٢) .

(2) انظر طبقات ابن سعد (٣/٣٠٠) .

قريش ، فقال لهم : « اكتبوا الناس على منازلهم [1] » ، وقال : « ابدأوا بقرابة الناس ﷺ ، الاقرب فالاقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله [2] ».

بدأ ببني هاشم ، ثم الاقرب فالاقرب برسول الله ﷺ ، فكان الناس اذا استووا في القرابة برسول الله ﷺ ، قدّم اهل السابقة حتى أتى الى الانصار ، فقالوا : « بمن نبدأ ؟ » فقال عمر : « ابدأوا برهط سعد بن معاذ الاشهلي ثم الاقرب فالاقرب بسعد بن معاذ . وفرض عمر لاهل الديوان ، ففضّل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض ، فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين والانصار ، ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة ، حليفهم ومولاهم معهم بالسواء . وفرض لمن كان له اسلام كاسلام اهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد (أحداً) أربعة آلاف درهم لكل رجل منهم . وفرض لابناء البدريين ألفين ألفين إلا حسناً وحسيناً فانه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله ﷺ ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم ، وفرض للعباس بن عبدالمطلب خمسة آلاف درهم لقرابته برسول الله ﷺ ، ولم يفضّل احداً على اهل بدر إلا ازواج النبي ﷺ ، فانه فرض لكل امرأة منهن اثني عشر الف درهم . وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم ، وفرض لمسلحة الفتح لكل رجل منهم الفين ، وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والانصار كفرائض مسلحة الفتح . وفرض لابن زيد اربعة آلاف درهم ، فقال عبدالله بن عمر : « فرضت لي ثلاثة آلاف وفرضت لاسامة اربعة آلاف وقد شهدت ما لم يشهد أسامة » ، فقال عمر : « زدته لانه كان أحب الى رسول الله ﷺ منك ، وكان أبوه أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك . ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٥) .

للقرآن وجهادهم ، ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين ديناراً لكل رجل ، وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ألفين الى ألف الى تسعمائة الى خمسمائة الى ثلاثمائة لم ينقص أحداً عن ثلاثمائة . وقال : « لئن كثر المال ، لأفرضنّ لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألف لسفره وألف لسلاحه وألف يخلّفها لأهله وألف لفرسه وبغله » . وفرض لنساء مهاجرات : فرض لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف ، ولأسماء ابنة عُميس ألف درهم ، ولأم كلثوم بنت عقبة ألف درهم ... الخ . وكان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم ، فاذا ترعرع بلغ به مائتي درهم فاذا بلغ زاده . وكان اذا أتي باللقيط فرض له مائة درهم وفرض له رزقاً يأخذه وَليُّهُ كل شهر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة ، وكان يوصي بهم خيراً ويجعل رضاعتهم ونفقتهم من بيت المال. قال حزام بن هشام الكلبي : « رأيت عمر يحمل ديوان خُزاعة حتى ينزل (قُدَيْداً) [1] فتأتيه بقُدَيد ، فلا يغيب عنه امرأة بكر وثيّب ، فيعطيهن في أيديهن ، ثم يروح فينزل (عسفان) [2] فيفعل مثل ذلك ، حتى توفي [3] .

كان عمر يحرس بعض التجار من السرق ، فسمع بكاء صبي فتوجّه نحوه، فقال لأمه : « إتقي الله وأحسني الى صبيك » ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد الى أمه فقال لها ذلك . فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فقال : « ويحك ! اني لأراك أم سوء . مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة ؟ » ،

---

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٧ / ٣٨ » .

(٢) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . انظر الخراج لابي يوسف في معجم البلدان « ٦ / ١٧٤ » .

(٣) طبقات ابن سعد « ٣ / ٢٩٥ - ٢٩٨ » الطبري فتوح البلدان للبلاذري .

فقالت : « يا عبد الله ! قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أربعه عن الفطام فيأبى عليّ ! » ، قال : « ولم ؟ قالت لأن عمر لا يفرض الا للفطيم » . وصلى عمر الصبح وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه ، فلما سلّم قال : « يا بؤساً لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين ؟! » ، ثم أمر منادياً فنادى ألا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود في الإسلام » ، وكتب بذلك الى الآفاق[1]

وقال عمر : « والله لئن بقيت ليأتينّ الراعي بجبل صنعاء حظّه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمرّ وجهه » يعني في طلبه [2] ...

وكتب عمر الى حذيفة بن اليمان أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم فكتب اليه : « إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير » ، فكتب اليه عمر : « انه فيؤهم الذي أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسمه بينهم» [3].

عن سالم بن عبدالله قال: «فرض عمر بن الخطاب للناس حتى لم يدع أحداً من الناس الا فرض له ، حتى بقيت بقية لا عشائر لهم ولا موالي ، ففرض لهم ما بين المئتين الى ثلاثمائة) [4] .

قال عمر : « لئن بقيت الى الحول لألحقنّ أسفل الناس بأعلاهم[5]. وقال: « لئن عشت لاجعلن عطاء المسلمين ثلاثة آلاف [6] ، ورزق الناس جريبين كل شهر : المرأة والرجل والمملوك جريبين جريبين كل شهر [7] .

---

(١) تاريخ عمر « ٤٨ - ٤٩ » وطبقات ابن اسعد « ٣ / ٣٠١ » .
(٢) طبقات ابن سعد « ٣ / ٣٠٠ » .
(٣) طبقات ابن سعد « ٣ / ٩٩٩ » .
(٤) طبقات ابن سعد « ٣ / ٣٠٤ » .
(٥) طبقات ابن سعد « ٣ / ٣٠٢ » .
(٦) طبقات ابن سعد « ٣ / ٣٠٤ » .
(٧) طبقات ابن سعد « ٣ / ٣٠٥ » .

وكان عمر يحمي (النَقِيْع) [1] ، لخيل المسلمين ويحمي (الرَّبَذَة) و (الشرف) [2] لابل الصدقة ، يَحْمِل على ثلاثين ألف بعير في سبيل الله كل سنة [3] .

دوّن عمر الديوان وفرض العطاء ليتفرّغ العرب للجهاد في سبيل الله ، وقد أعان تدوين الديوان وفرض العطاء أولئك العرب الاولين على أداءالرسالة التي فرضت الاقدار عليهم أداءها .

والديوان كلمة فارسية معرّبة معناها : مجتمع الصحف ، يكتب فيها رجال الجيش ومن فرض لهم العطاء . وقد تطوّر مدلول هذه الكلمة من بعد، فصارت تطلق على الامكنة التي يجلس فيها القائمون على هذه السجلاّت، كما تطلق على السجلاّت نفسها . وبديهي انها لم تتعدّ في عهد عمر معناها الاول ، فكان الديوان سِجلاً أحصي فيه من فرض لهم العطاء من رجال الجيش ومن غيرهم وذكر فيه أمام كل اسم عطاء صاحبه [4]

ان تدوين الديوان ، جعل لكل جندي يقاتل في الجبهة عطاءً مضموناً يجعله قرير البال على أهله وذويه في مدينته أو في صحرائه ، وهذا له تأثير معنوي كبير عليه ، لان الجندي الذي لا يطمئن كل الاطمئنان الى الحالة المعيشية لاهله وذويه لا يقاتل كما ينبغي .

---

(١) النقيع : وادٍ من أودية الحجاز يدفع سيله الى المدينة . والنقيع موضع قرب المدينة . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٨ / ٣١٢ »

(٢) الشرف موضع في الربذة . انظر معجم البلدان « ٥ / ٢٠٣ ».

(٣) طبقات ابن سعد « ٣ / ٣٠٥ » .

(٤) الفاروق عمر « ٢ / ٢٢٧ - ٢٣١ » ، وانظر ما جاء عن تدوين الديوان وفرض العطاء في الطبري « ٣ / ١٠٨ - ١١٣ » وابن الأثير « ٢ / ١٩٤ - ١٩٥ » ومقدمة ابن خلدون « ٢٤٣ - ٢٤٤ » والاحكام السلطانية للماوردي «١٩٩ - ٢٠٣ » وكتاب الوزراء والكتاب «١١» والادارة الاسلامية في عز العرب « ٤٤ - ٤٦ » والخراج « ٤٩ - ٥٦ » ... الخ .

٨ - ولكن لا بد للجيوش من موارد ثابتة تُديم الامور الادارية لهم في أيام الفتح وبعده ، لذلك أبى عمر أن يقسم أرض السواد [٥] على الفاتحين . سأل بلال بن رباح وأصحابه عمر قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وقالوا : « اقسم الارضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر » ، فقال عمر : « لقد أشركك الله الذين يأتون من بعدكم في هـذا الفيىء ، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ، ولئن بقيت ليبلغنّ الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه » . وكتب عمر الى سعد بن ابي وقاص حين افتتح العراق:
« أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم . فاذا أتاك كتابي هذا ، فانظر ما أجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال ، فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الارضين والانهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء . وقد كنت أمرتك أن تدعو من لقيت إلى الاسلام قبل القتال ، فمن أجاب الى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم . وله سهم في الاسلام ؛ ومن أجاب بعد القتال وبعد الهزيمة ، فهو رجل من المسلمين وماله لاهل الاسلام لانهم قد أحرزوه قبل اسلامه . فهذا أمري وعهدي اليك » [١]

وأصاب سعد مائة ألف فلاح في بعض غزواته ، فأرسل الى عمر يستأذنه ، فأجابه : « ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به » ، فخلى سعد عنهم . وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة ، فلم يبق غربي دجلة الى أرض

---

(١) أرض السواد : ارض العراق وضياعها ، سماه العرب : سواداً لخضرته بالزروع والاشجار . وحد السواد من حديثة الموصل طولاً الى عبادان ، ومن العذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٥ / ١٥٩ » .

العرب سوادي الا آمن واغتبط بملك الاسلام [١] .

وبعد فتح مصر كتب عمرو بن العاص الى عمر يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها ، فكتب اليه عمر : « لا تقسمها وذرهم يكون خراجها فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهاد «عدوّهم» [٢] .

وبذلك أصبح خراج الاراضي وجزية الرؤوس وما كان بمعناها ، موارد ثابته للدولة تصرف الى عمارة الدين والمصالح العامة ، ومنهـــا رواتب الولاة والقضـــاة واهل الفتوى من العلماء والجيش واصلاح الطرق وعمارة المساجد والرباطات (للجهاد) والقناطر والجسور وسدّ الثغور واصلاح الانهار العامة [٣].

لم يسترح بعض الفاتحين الى رأي عمر في تأميم الارض المفتوحة ، فلما ألحّ عليه بعضهم بقسمة الارض استشار المهاجرين الاولين فاختلفوا ؛ فأرسل الى عشرة من الانصـــار : خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم ، فلما اجتمعوا حمد الله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « اني لم ازعجكم الا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من اموركم ، فاني واحد كأحدكم، وانتم اليوم تقرّون بالحق : خالفني من خالفني ، ووافقني من وافقني ؛ ولست أريد أن تتبنّوا هـــذا الذي هو هواي . معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فوالله لئن كنت نطقت بأمر ما أريد به إلا الحق » . قـــالوا : « قل نسمع يا أمير المؤمنين » ، فقال : « قـــد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم ، واني أعوذ بالله ان اركب ظلماً ، لئن كنت ظلمتهم شيئاً

---

(١) الخراج « ٢٨ - ٢٩ » وانظر البلاذري (٤٣٣) .
(٢) ابن الاثير « ٢ / ١٩٧ » .
(٣) فتوح مصر والمغرب«١٢٤»
(٤) اشتراكية الاسلام للسباعي (٢٠٨) الطبعة الثانية وانظر النزعة الاشتراكية في الاسلام (١٨٧) .

هو لهم وأعطيته غيرهم ، لقد شقيت ! ولكن رأيت انـه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى • وقد غنمنا الله اموالهم وارضهم وعلوجهم [1] ، فقسمت ما غنموا من اموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجّهته على وجهـه وأنا في توجيهه ؛ وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها ، فتكون فيئاً للمسلمين : المقـاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم . أرأيتم هذه الثغور [2] ، لا بد لها من رجال يلزمونها ! أرأيتم هـذه المدن العظام ، لا بد لها من ان تشحن بالجيوش ، ولا بد من ادرار العطـاء عليهم ! فمن أين يُعطى هؤلاء اذا قُسمت الأرضون والعلوج ؟! » ؛ فقـالوا جميعاً : « الرأي رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت ، ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجـال وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر الى مدنهم » ، فقال : « بان لي الامر ، فمن رجل له جزالة وعقل يضع الارض مواضعهـا ويضع على العلوج ما يحتملون ؟ » . فاجتمعوا على عثمان بن حنيف وقالوا : « تبعثه الى أهم ذلك ، فإن له بصراً وعقلاً وتجربة » ؛ فأسرع اليه عمر وولاه مساحة الارض ، فأدّت جباية سواد الكوفة قبل ان يموت عمر بعام مائة الف الف درهم ، والدرهم يومئذ درهم ودانقان ونصف ، وكان وزن الدرهم يومئذ وزن المثقال [3] .

وقال عمر للذين أرادوه ان يقسم ارض الشام : « اذن اترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم » [4] ، ولم يقسم الارض ، بل تركها لعمالها ليكون خراجها في أعطيات المسلمين .

---

(١) علج : بوزن العجل ، الواحد من كفّار العجم ، والجمع : علوج وأعلاج وعلجة .

(٢) الثغور : جمع ثغر ، موضع المخافة من فروج البلدان .

(٣) الخراج « ٣٠-٢١ » وانظر الخراج لقدامة بن جعفر ملحق بالمسالك والممالك « ٢٣٧-٢٣٩ » حول تفاصيل واردات السواد .

(٤) الخراج « ٣١ » .

ولم يقسم ارض مصر كما أسلفنا ، ليكون خراجها في أعطيات المسلمين ايضاً .

وكان عمل عمر هذا ، كما يقول الامام ابو يوسف في الخراج : « والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الارضين بين من افتتحها عندما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك ، توفيقاً من الله كان له فيما صنع وفيه الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته عموم النفع لجماعتهم ، لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن بالثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد ، ولما أمن رجوع أهل الكفر الى مدنهم ، اذا خلت من المقاتلة والمرتزقة » [١]

٩ – ولم تقف همة عمر على تأمين ركوب المقاتلين ورواتبهم وتأميم الأرض المفتوحة لتكون رصيداً لا ينضب لرواتب الجيوش وتسليحهم وتنقلهم ، بل ذهبت همته الى أبعد من ذلك : تأمين السكن لهم .

ففي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨م) أرسل سعد بن أبي وقاص وفداً الى عمر بفتوح العراق ، فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم فقالوا : « لوخومة البلاد عندنا » فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس [٢] .

وقيل : بل كتب حذيفة بن اليمان الى عمر : أن العرب قد رقت بطونها وجفت أعضادها وتغيرت ألوانها » ، وكان حذيفة مع سعد ، فكتب عمر الى سعد : « أخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم » ، فكتب اليه سعد « ان الذي غيرهم وخومة البلاد ، وأن العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان » ، فكتب اليه عمر : أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين ،

---

(١) الخراج (٣٢) .
(٢) ابن الاثير (٢/٢٠٣) .

فليرتادا منزلاً برياً بحربـــاً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر » ، فأرسلها سعد ، فخرج سلمان حتى أتى (الأنبار) فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى اتى الكوفة . وسار حذيفة بن اليمان في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة – وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة – فأتيـا عليها فأعجبتهما البقعة . فلمـا رجعا الى سعد وقدم كتاب عمر اليه أيضاً ، كتب سعد الى القعقاع بن عمرو وعبدالله بن المعتم أن يستخلفا على جندهمـا ويحضرا عنـده . وارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة هجرية ، فكتب الى عمر : « اني قد نزلت بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً ، تنبت الحلفاء والنَصِيّ ، وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة ».ولما استقروا بها رجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم ،فاستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب،واستأذن فيه أهل البصرة أيضاً التي استقر منزل المسلمين فيها في الشهر الذي نزل فيه أهل الكوفة مدينتهم ، فكتب اليهم : « ان العسكر أشد لحربكم وأذكر لكم ، ما أحب أن أخالفكم » ، فابتنى أهل المصرين بالقصب . ولكن الحريق وقع في الكوفة والبصرة ، فبعث سعد نفراً منهم الى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن ، فقال : « افعلوا ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السُنّة تـلزمكم الدولة » ، وكتب عمر الى عتبه بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك ، وقدر المناهج أربعين ذراعاً ما بين ذلك عشرين ذراعاً والازقة سبع أذرع ليس دون ذلك شيء والقطائع ستين ذراعـــاً . وأول شيء خط في البصرة والكوفة مسجداهما،وقام في وسطها رجل شديد النزاع فرمى في كل جهة بسهم وأمر أن يبنى ما وراء ذلك ، وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين من رخـــام ، فبنى المسجد في مربعة لاجتماع النـــاس فيها لئلا يزدحموا ، وبنوا لسعد داراً بحياله وهي قصر

الكوفة [١] .

وعزل عمر عتبة بن فَرْقَد السُّلَمي [٢] عن الموصل وولاها عَرْفَجة البارقي ، وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحلة اليهود ، فحصرها عرفجة وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع [٣] .

كما أن عرفجة نزل (حديثة الموصل) [٤] وكانت قرية فيها بيعتان فحصرها واختطها قبل الموصل الحدباء [٥] .

وبنى أبو مدلاج التميمي (حديثة الفرات) [٦] في أيام عمر ، وكان قد بعثه عمر على رأس جيش يستقرىء ما فوق الفرات [٧].

ولما فتحت الاسكندرية رأى عمرو بن العاص بيوتها وبناءها مفروغاً منها فهمّ ان يسكنها وقال : « مساكن قد كُفيناها » ، فكتب الى عمر يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ? » قال: « نعم يا امير المؤمنين ، اذا جرى النيل » ؛ فكتب عمر الى عمرو : « ان لا أحب ان تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا في

---

(١) الطبري (٣/١٤٧ - ١٥١) وابن الأثير (٢/٢٠٣ - ٢٠٥) .

(٢) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ - ٤٢٢) .

(٣) البلاذري (٣٢٧) ومعجم البلدان (٣/٢٣٤) .

(٤) حديثة الموصل : بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٣٤) والمشترك وضعاً (١٢٣) .

(٥) معجم البلدان (٣/٢٣٤) .

(٦) حديثة الفرات : مدينة على فراسخ من الانبار وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء محيط بها . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٣/٢٣٥ » والمشترك وضعاً « ١٢٣ » .

(٧) معجم البلدان « ٣/٢٣٥ » .

صيف » ؛ فتحوّل عمرو من الاسكندرية الى (الفُسطاطْ) [١] ، فاختطها عمرو وأسكنها المسلمين [٢] .

وبنى معاوية بن أبي سفيان في عهد عمر (جبلة) [٣] بعد خراجها واجلاء أهلها عنها ، وكانت حصناً للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين (حمص)، وشحنها معاوية بالرجال وبنى حصناً خارجاً عن الحصن الرومي ، وسكن المسلمون هذه المدينة [٤] .

وبنى عثمان بن ابي العاصي (َتوّج) [٥] وبنى فيها المساجد وجعلها داراً للمسلمين وأسكنها عبد القيس وغيرهم وذلك في ايام عمر بن الخطاب [٦] .

لقد كانت الجزيرة العربية قاعدة الفتح الإسلامي التي انطلقت منها جيوش المسلمين لفتح العراق وأرض الشام ، فلما فتحت العراق والشام ، كان لا بد من إنشاء قواعد متقدّمة لانطلاق الفتح منها شرقاً وغرباً ، فكانت الكوفة والبصرة القاعدتين الاماميتين لانطلاق الفتح نحو الشرق ، وكانت مدن ارض

---

(١) الفسطاط : سميت الفسطاط ، لأن عمرو بن العاص لما اراد التوجه الى الاسكندرية قتال من بها من الروم ، أمر بنزع فسطاطه ، فاذا فيه يمام قد فرخ ، فقال عمرو : « لقد تحرّم منا بمتحرّم ؛ فأمر به فأقر كما هو ، واوصى به صاحب القصر . فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالو ؛ « أين ننزل ؟ » فقالوا : « الفسطاط » ، لفسطاط عمرو الذي خلّفه ، وكان مضروباً بموضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصى عند دار عمرو الصغيرة اليوم . انظر فتح مصر والمغرب « ١٣٣ » ومعجم البلدان « ٦/٣٧٩-٣٨٠ » .

(٢) فتح مصر والمغرب « ١٣٣-١٣٤ » ومعجم البلدان « ٣٧٩-٣٨٤» والمسالك والممالك لابن خرداذبة « ٨٤ » وأحسن التقاسيم «١٩٧» وانظر زبدة كشف الممالك « ٣٠ » والبلدان لابن الفقيه «٥٩» .

(٣) قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٣/٥٣ » .

(٤) انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٣/٥٣ » والمشترك وضعاً « ٩٥-٩٦ » .

(٥) توّج : مدينة بفارس قريبة من كازرون . انظر التفاصيل في معجم البلدان «٢/٤٢٦» .

(٦) معجم البلدان « ٢/٤٢٦ » .

الشام ومنها دمشق وجبلة القواعد الامامية لانطلاق الفتح نحو الغرب .

وبعد فتح مصر ، كانت الفسطاط القاعدة المتقدمة لانطلاق الفتح منها الى افريقية ، وكانت (توّج) وبعض مدن فارس القواعد المتقدمة لانطلاق الفتح الى حدود الصين شرقاً والى السند جنوباً الى حدود سيبيريا شمالاً . كما كانت مدينة الموصل القاعدة الامامية لانطلاق الفتح منها الى شمال العراق والى أذربيجان .

ولكن هذه المدن الجديدة كانت بالاضافة الى ذلك معسكرات كبرى للجيوش الاسلامية سكنها المسلمون واستقروا فيها وعوائلهم وذووهم ، فأصبحت مواطن لهم بعد نزوحهم عن مواطنهم الاولى في الصحراء او في حواضر شبه الجزيرة العربية .

لقد ضمن عمر أمر سكنى الجنود وعوائلهم ، فكان المسلمون في صدر الإسلام اذا فتحوا بلداً جعلوا مساكنهم في بعض ضواحيه او في مواضع مناسبة يختارونها ، وكانوا يسمّون هذه المراكز (ثكناً) [1] . وكان المسلمون اذا فتحوا مدينة قريبة من العدو او عند ساحل ، وضعوا فيها حامية من الرجال لحمايتها ، ولم تكن هذه المراكز العسكرية الا معسكرات ومضارب خيام في بادىء الأمر ، مصرها القواد فتحولت الى مدن كبيرة على مر السنين : زاهرة بالعلوم والفنون والآداب ، زاخرة بالمقاتلين من الجنود وبالسلاح والمؤن والتجهيزات ، حافلة بالعيال ، مواجة بالأيدي العاملة فلاحين يعدون الغلات وعمالاً يصنعون الأسلحة وأرباب حرف يعدون النسيج ويخيطونه [2] .

---

(١) ثكنة : اللواء وجمع الجند جمعها : ثكن وثكنات .

(٢) انظر مقال : جيش المسلمين في عهد بني أمية في المجلد الرابع الجزء الثاني من مجلة المجمع العلمي العراقي الصادر في ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م) .

١٠ - إن عمر ذهب إلى مدى أبعد من ذلك في الحرص على راحة المجـــاهدين وأمورهم كافة . فقد كتب الا تحبس الجيوش بعيدة عن عوائلها أكثر من أربعة أشهر ، فبينما كان يطوف في أرجـاء المدينة ليلاً سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه . وأرّقني أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله إني أراقبـــه لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : « مالك ؟! » ، فقالت : « أغزيت زوجي منذ أشهر وقد اشتقت اليه » ، فقال: «أردت سوءاً ؟! » ، فقالت: «معـاذ الله » ، فقال : « فاملكي عليك نفسك ، فانما هو البريد اليه » ، فبعث اليه . ثم دخل على حفصة أم المؤمنين ابنته فقال : « اني سائلك عن أمر قد أهمني ، فافرجيه عني . كم تشتاق المرأة الى زوجها ؟ » ، فخفضت رأسها واستحيت ، فقال : « ان الله لا يستحي من الحق » فأشارت بيدها ثـلاثة والا فأربعة أشهر ، فكتب عمر الا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر [١] .

بل كان عمر يخلف الغزاة في أهليهم [٢] .

ذلك هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين والقائد الأعلى للجيوش الإسلامية: يعد الخطط السوقية لجيوشه ، ويسهر على مراقبة تنفيذ تلك الخطط ، ويحشد أكبر عدد ممكن من الرجال قبل خوض المعارك ليضمن لهم النصر ، ويمـــد جيوشه بالامدادات المتعاقبة ، ويوحد العرب في شبه الجزيرة العربية ليطمئن إلى سلامة قاعدته الأمينة ، ويؤمن العطـــاء للمجاهدين ولذويهم ، ويجعل الأرض المفتوحة كلها رصيداً لهذا العطاء ، ويضمن السكن للجنود ولعوائلهم،

---

(١) تاريخ الخلفاء (٩٦) . هناك رواية أن مدة بقاء المجاهد ستة اشهر .
(٢) تاريخ عمر (٤٧) .

ولا يترك الجنود بعيدين عن عوائلهم أكثر من أربعة أشهر حفاظاً على معنوياتهم ومعنويات عوائلهم ، ويخلف الغزاة بأهليهم ... ولست أعرف قائداً أعلى كانت القيادة العليا بعض واجباته فعل أكثر مما فعله عمر في سبيل جيوشه مادياً ومعنوياً .

لقد طبق عمر الحرب الاجماعية [1] قبل أربعة عشر قرناً ، فلا يزعم أحد أن الألمان أول من طبقها في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

لقد وضع المسلمون (الضمان الاجتماعي) للجنود موضع التنفيذ قبل أن تحلم به أوربة وأميركا باربعة عشر قرناً ، فلا يقولن قائل : ان من مزايا هؤلاء ضمان الرواتب للجنود ولاسرهم في حياتهم وبعد موتهم ، وضمان سكناهم وراحتهم في كل أرض يحلونها ؛ فقد كان نصيب المسلمين من كل ذلك في عهد عمر أوفر نصيب [2]

أن أعمال عمر العسكرية يمكن أن تكون مثلاً أعلى لكل قائد أعلى ، ويمكن أن تكون أعماله دروساً في الكليات العسكرية وكليات الاركان في كل مكان .

انها أروع ما سجله التاريخ العسكري في صفحاته للأمم كافة ، وستبقى نموذجاً حياً ومثلاً أعلى يحتذيه كل قائد في أية أمة بكل زمان ومكان .

حرب إنسانيّة

الحرب في الاسلام حرب انسانية من دون شك ، والشواهد على ذلك ما

---

(١) الحرب الاجماعيه : أو الحرب الاعتصابية ، من التعابير العسكرية الحديثة ، ومعناها : تحشيد الأمة ومرافقها المادية والمعنوية للحرب . انظر الامة في الحرب للمارشال لودندروف ،

(٢) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع الجزء الثاني ص «٦٥» .

جاء في القرآن الكريم وفي السنّة النبوية [1] وما طبّقه الرسول القائد عملياً في الحرب [2] .

ولكن العبرة دائماً في التطبيق العملي لا في النظريات والتعاليم المكتوبة ، وكثيراً ما يكون قانون ما مثالياً في أهدافه ومراميه ، ولكن الاساءة في تطبيقه تجعل من ذلك القانون حبراً على ورق ليس إلاّ .

فتعاليم الحرب في الاسلام تحتّم : الوفاء بالعهود وتحريم الغدر والخيانة في الظاهر والخفاء ، واحترام الانسانية وتكريم البشرية والدعوة الى الاخاء الشامل ، واعتبار الفضيلة والتقوى أساس العلاقات الدولية في الحرب والسلم ، والرحمة في الحرب ، والعدالة المطلقة ، والمعاملة بالمثل [3] ؛ وافساح الطريق للدعوة الجديدة ومنع الفتنة في الدين ، واقرار السلام [4] .

تلك هي بعض تعاليم الاسلام في الحرب ، فكيف وضعها عمر في حيّز التنفيذ العملي ؟؟

استدعى عمر سعد بن أبي وقاص بعد تعيينه قائداً عاماً في العراق وأوصاه بقوله : « يا سعد ، سعد بني وهيب !لا يغرنك من الله ان قيل : خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فان الله عزّ وجل لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكنه يمحو السيىء بالحسن ! وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء : يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ؛ فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله

---

(١) انظر : القتال في الاسلام كتاب : الرسول القائد « ١٩ - ٣٣ »

(٢) الرسول القائد « ٣٣٢ - ٣٤٠ » .

(٣) انظر كتاب : آثار الحرب في الفقه الاسلامي « ١٢٥ - ١٣١ » .

(٤) انظر كتاب الفن الحربي في صدر الاسلام « ٧٠ - ٧٢ » .

عليه وسلم يلزمه ، فانه الامر » [1] .

هكذا يوصي عمر سعداً بالالتزام بأوامر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الى ميدان القتال .

وحين علم سعد باجتماع الجيوش الفارسية ، كتب الى عمر ، فكتب اليه عمر : « لا يكربنّك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث اليه رجالاً من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم » ، فأرسل سعد بعض رجالات المسلمين الى كسرى (يزدجرد) ؛ فسألهم : ما جاء بكم ؟ وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ » ، فقال النعمان بن مُقَرّن المزني الذي كان أحد اعضاء الوفد العربي الاسلامي : « ان الله أرسل الينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة ثم أمر ان نبتدىء الى من خالفه من العرب ، فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضيق ؛ ثم أمرنا بأن نبتدىء بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح كله فان أبيتم فامر من الشر هو أهون من آخر شرّ منه - الجزية ، فان أبيتم فالمناجزة ؛ فان أجبتم الى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان بذلتم الجزى قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم » ... وبعد نقاش بين الجانبين عاد الوفد الى سعد ، وقد اشتد ذلك على الملك وجلسائه [2] .

---

(١) الطبري « ٣ - ٤ - ٥ » وابن الأثير « ٢ / ١٧٣ » .

(٢) ابن الأثير «٢/١٧٥ - ١٧٦» .

وهكذا لم يدّخر عمر وسعاً لتجنّب الحرب : عرض تعاليم القتال في الاسلام وهي الاسلام أو الجزية أو القتال كحل اخير ... وأرسل المفاوضين لعرض رأي المسلمين في القتال ببساطة وصراحة ... والحرب في الاسلام كالكي الذي هو آخر الدواء ...

وبعد معركة (جلولاء) بعث سعد بالأخماس الى عمر وبعث حسابها مع زياد بن أبيه ، فكلّم عمر بما جاء له ووصف له ؛ فقال عمر : « هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل ما كلّمتني به ؟ » ، فقال : والله ما على وجه الأرض أهيب في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ؟! » . وقدم الخمس على عمر فقال : « والله لا يجنّنه سقف حتى أقسمه » فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد . وأصبح الصباح فجاء عمر وكشف عن المال ، فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف : « ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟! فوالله ان هذا لموطن شكر » ، فقال عمر : والله ما ذاك يبكيني ، وبالله ما أعطى الله هذا قوماً الا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى الله بينهم بأسهم »[1] .

ان عمر لم يكن ينظر الى الحرب كوسيلة لجمع الغنائم والمال ، بل انه رأى ببصيرته النافذة أثر الغنى السيىء على النفوس ، فهو يفشي بين الناس العداوة ، وهو يشيع بينهم الترف ولن يكون بعد العداوة والترف إلا التردي والانهيار .

وبعث أبو سبرة بن ابي رهم بعد فتح (تستر) وأسر (الهرمزان) وفداً الى عمر فيهم انس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم (الهرمزان) ، فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللا

---

(١) ابن الأثير «٢/٢٠٢» .

بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون ؛ فطلبوا عمر فلم يجدوه ، فسألوا عنه ، فقيل : جلس في المسجد لوفد من الكوفة ... فوجدوه في المسجد متوسداً برنسه – وكان قد لبسه للوفد ، فلما قام الناس عنه توسّده ونام . وجلس الوفد ومعهم (الهرمزان) دونه وهو نائم ، والدرّة في يده ؛ فقال الهرمزان: « أين عمر ؟ » ، قالوا : « هو ذا ! » ، فقال : « أين حرسه وحجّابه ؟! » فقال : « ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ! » ، فقال : « فينبغي أن يكون نبياً ! » ، فقالوا : « بل يعمل بعمل الأنبياء » ؛ فاستيقظ عمر بجلبة الناس واستوى جالساً ، ثم نظر الى الهرمزان فقال: «الهرمزان ؟ »، فقالوا: « نعم » ، فقال : «الحمد لله الذي أذلّ بالاسلام هذا وغيره أشباهه » ، فأمر بنزع ما عليه ، فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً فقال له عمر : « يا هرمزان ! كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله » ، فقال : « يا عمر ! إنا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان الآن معكم غلبتمونا». قال عمر: « فما حجّتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى ؟ »: فقال: « أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ! » ، فقال عمر : « لا تخف ذلك » . واستسقى الهرمزان ماء فأتى به في قدح غليظ ، فقال : « لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا » ، فأتي بالماء في اناء يرضاه فقال : « اني أخاف أن أقتل وأنا أشرب » ، فقال عمر: « لا بأس عليك حتى تشربه »، فأكفأه فقال عمر : « أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش » ، فقال الهرمزان : « لا حاجة لي في الماء ، انما أردتُ أن أستأمن به » ، فقال عمر : « اني قاتلك » ، فقال : « قد أمنتني » ، فقال عمر : « كذبت ! »، فقال أنس : « صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته ، فقال : « يا أنس ! أنا أؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء بن مالك ؟ والله لتأتينَ بمخرج أو لأعاقبنّك » ، فقال أنس : « قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرني ، ولا بأس عليك حتى

تشربه » ، وقال له من حوله مثل ذلـــك ، فأقبل على الهرمزان وقال : «خدعتني ! والله لا انخدع الا ان تسلم » ، فأسلم الهرمزان ففرض له عمر الفين وأنزله المدينة ...

وقال عمر الوفد : « لعلّ المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم ؟ » ؟ فقالوا . « ما نعلم إلا وفاءً » [1]

هكذا يمضي عمر أمان منتقض نقض العهود مرات وكبّد المسلمين خسائر فادحة بالارواح والمواد بخدعة ماكرة ، وهو القادر على أخذ ثارات شهـداء المسلمين منه باشارة عابرة ..

وكتب عمر الى النعمان بن مُقَرّن المُزَني قبل معركة (نهاوند) الحاسمة : « اذا لقيتم العدو فلا تفرّوا ، واذا غنمتم فلا تغلُوا [2] » .

وكتب عمر الى سعد بن أبي وقاص : « ...: فان لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان او قرفـــه [3] باشارة او بلسان كان لا يدري الاعجمي ما كلـّمه به وكان عندهم أماناً ؛ فأجروا ذلك له مجرى الأمـــان ، وإياكم والضحك ، والوفاء الوفاء ، فان الخطأ بالوفاء بقيّة ، وان الخطأ بالغـــدر الهلكة وفيها وهنكم وقوة عدّوكم وذهاب ريحـكم وإقبال ريحهم ، واعلموا اني احذركم ان تكونوا شيئاً على المسلمين وسبباً لتوهينهم [4] .

وهكذا يأمر عمر قادتـه بامضاء الأمان حتى ولو كان باشارة عابرة ... ويأمر بالوفاء ويحث عليه ، ويعتبر حتى الخطأ بالوفاء كرامة والخطأ بالغـدر هلكة ومهانة ..

---

(١) ابن الاثير «٢/٢١٢ – ٢١٣» .
(٢) الخراج «٤٠» ، والغل : الخيانة .
(٣) قرف : قرف قرفا ، كذب وخلط .
(٤) الطبري «٣/١٢» .

وكان عمر يقول عند عقد الالوية لقادته : « بسم الله وبالله وعلى عون الله. أمضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ! ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثّلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور [١] ، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارات [٢] .

وحاصر المسلمون (جَندَ يَسابور) [٣] سنة سبع عشرة هجرية ، فأقاموا عليها يقاتلون أهلها، فرُميَ إلى من بها من عسكر المسلمين بالامان ، فلم يفجأ المسلمين إلا وقد فتحت ابوابها وخرج أهلها ، فسألهم المسلمون فقالوا : « رميتم بالامان فقبلنا وأقررنا بالجزية » ، فقال المسلمون : « ما فعلنا ! » . وسأل المسلمون فاذا عبد يدعى (مكنفاً) كان أصله من (جند يسابور) هو الذي رمى اليهم بالامان ، فقالوا : « هو عبد » ، فقال أهل المدينة : « لا نعرف العبد من الحر ، وقد قبلنا الجزية وما بدلنا ؛ فان شئتم فاغدروا»؛ فكتب المسلمون الى عمر فأجاز أمانهم ، فأمنوهم وانصرفوا عنهم [٤] ...

انه أجاز أمان عبد ، تصرّف من تلقاء نفسه بتحيّز ظاهر لقومه اهل المدينة وبدون علم المسلمين قادة وجنوداً .. ومع ذلك أجاز عمر امانه .

يا للروعة ... يا للعدل ... يا للسماحة ...

ان عمر كان يخوض غمار حرب عادلة [٥] لها بواعث معروفة وله

---

(١) الظهور : الغلبة في قولهم : ظهر على عدوه اذا غلبه ،

(٢) العقد الفريد «١/٦٦» .

(٣) جنديسابور : مدينة بالاهواز بناها سابور بن ازدشير فنسبت اليه . انظر التفاصيل في معجم البلدان « ٣/١٤٩ » .

(٤) ابن الاثير « ٢/٢١٤» .

(٥) الحرب العادلة: هي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلماً نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه. انظر كتاب : الرسول القائد (٢٣٢) .

أهداف معلومة ، لذلك كانت حربه حرباً انسانية بكل ما في الانسانية من معان ...

الثقة المتبادلة

لا نجاح لقائد أو زعيم أو كل مسؤول ، ما لم يكن موضع ثقة الناس به : يثق به رؤساؤه، ويثق هو برؤسائه ، ويثق برجاله ويثقون به ، ويثق بنفسه ويعرف قيمتها ويضعها بالموضع اللائق بها .

كان عمر موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به منذ أسلم عمر حتى التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت الشمس ولا غَـرَبَت على رجل خير من عمر»[1]. وقال:«ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[2]. وقال عن عمر وعن ابي بكر « هذان سيدا كُهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، الا النبيين والمرسلين » [3] . وقال : « بينا أنا نائم شربت (يعني اللبن) حتى انظر الى الري يجري في ظفري أو في أظفاري ، ثم ناولت عمر»، قالوا : « فما أوّلته ؟ » ، قال : « العلم » [4] . وقال : « بينا أنا نائم ، رأيت الناس يعرضون وعليهم قُمص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومرّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرّه » ، قالوا : « ماذا أوّلت ذلك يا رسول الله ؟ » ، قال : « الدين » [5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إيهاً يا ابن الخطاب ! والذي نفسي بيده ،

---

(١) أخرجه الترمذي . انظر تيسير الوصول « ٢٦٦/٣ » .
(٢) تيسير الوصول « ٢٦٦/٣ - ٢٦٧ » .
(٣) اخرجه الترمذي . انظر تيسير الوصول « ٢٦٨/٣ - ٢٦٩ » .
(٤) فتح الباري بشرح البخاري « ٣٦/٧ » .
(٥) شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم « ١٤٦/٥ » .

ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط الا سلك فجاً غيره »[1] ، وعمر أحد الذين بشّرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة [2] . وقال عبدالله بن هشام : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب »[3] . واستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة فقال : « يا أخي لا تنسانا من دعائك » ، وقال بعد في المدينة : « يا أخي أشركنا في دعائك » ، فقال عمر : « ما أحبّ أن لي بها ما طلعت عليه الشمس بقوله : يا أخي »[4] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عمر بن الخطاب معي حيث أحب ، وأنا معه حيث يحبّ الحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان »[5] . وقال : « هذا الرجل لا يحبّ الباطل »[6] . وقال : « أشدّ أمتي في أمر الله عمر »[7] .

ذلك مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعمر . أما أبو بكر الصديق ، فقد كان عمر ساعده الأيمن ووزيره الأول ومستشاره الأقدم وصديقه الحميم : بايعه يوم السقيفة قائلاً للناس : « أيّكم يطيبُ نفساً أن يخلف قدمين قدّمها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ » ، وأتى الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر الصديق فأخذهم للبيعة ، وكان أبو بكر قبل مبايعته قد قال : « قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر وأبا عبيدة أمين هذه الامة »[8] .

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري (٣٨/٧) .
(٢) فتح الباري بشرح البخاري (٤٣/٧) .
(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٤٣/٧).
(٤) تاريخ عمر (١٦) .
(٥) تاريخ عمر (١٧) .
(٦) تاريخ عمر (١٧) .
(٧) تاريخ عمر (١٨) .
(٨) ابن الاثير (٢ / ١٢٣ - ١٢٤) .

وحين أنفذ أبو بكر الصديق جيش أسامة بن زيد قال لأسامة : « ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل » فاذن اسامة لعمر بالبقـــاء الى جانب أبي بكر [1] .

وكان عمر في المجلس الاستشاري الاعلى للحرب في أيام أبي بكر ، فأعانه على تحمُّل أعباء حرب الردّة والفتوح كما ذكرنا .

وكان عمر على القضاء طيلة عهـــد ابي بكر الصديق ، وقد مكث سنة لا يأتيه رجلان [2] .

ولما ثـَقـُل أبو بكر وحضرته الوفاة ، استخلف عمر ، فدخل عليه من قول : ماذا تقول لربك اذا قدمت عليه غداً وقـــد استخلفت علينا ابن الخطاب ؟ » فقال أبو بكر : « أجلسوني ! أبالله ترهبونني ؟ أقول:استخلفت عليهم خيرهم [3] .

ذلك هو مبلغ ثقة ابي بكر بعمر ، أما ثقة الناس به ، فقد ذكر عبدالله ابن عباس قال : « اني لواقف في قوم يدعون الله لعمر بن الخطاب وقد وُضع على سريره ، اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : يرحمك الله ! ان كنت لأرجو أن يجعلك مع صاحبيك ، لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبوبكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لارجو أن يجعلك الله معهما فالتفتّ فاذا هو علي بن ابي طالب » [4] .

وقال علي بن ابي طالب : « ما خلّفت أحـــداً أحبّ الـيّ أن ألقى الله

---

(١) ابن الاثير (١٢٧) .

(٢) ابن الاثير (٢ / ١٦١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٢٧٤) .

(٤) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٣٣) .

بمثل عمله منك ، الحديث [١] ، وهو يقصد عمر .

ولما طُعن عمر جعل يألم ، فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه [٢] : « يا أمير المؤمنين ! ولئن كان ذاك فقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راضٍ . ثم صحبتهم [٣] فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنّهم وهم عنك راضون » [٤] .

وقالت أم أيمن يوم أصيب عمر : « اليوم وَهَنَ الاسلام » . وقال طارق ابن شهاب : « كان رأي عمر كيقين رجل » . وقال عبد الرحمن بن غَنْم يوم مات عمر : « اليوم أصبح الاسلام موليا ً ، ما رجل بأرض فلاة يطلبه العدو فأتاه آتٍ فقال له : خُذْ حِذَرَك بأشد فراراً من الاسلام اليوم [٦] .

وجاء عبدالله بن سلام وقد صُلّي على عمر فقال : « والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء عليه . نِعْمَ أخو الاسلام كنت يا عمر ، جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل ، ترضى حين الرضى وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف طيّب الظرْف ، لم تكن مداحاً ولا مُغتاباً » .

وقال عبدالله بن مسعود : « كان عمر حصناً حصيناً للاسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر انثلم الحصن ، فالناس يخرجون من الاسلام [٧] .

ولما مات عمر بكى سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، فقيل له : « ما

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٣٩) .
(٢) يجزعه : يزيل عنه الجزع .
(٣) صحبتهم : أي المسلمين .
(٤) فتح الباري بشرح البخاري (٤٢ - ٤٣) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٦٩) .
(٦) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٦٩) .
(٧) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٧١) .

يبكيك ؟ » فقال : « لايبعد الحقّ وأهله ، اليوم يهي أمر الاسلام » ، وقال : « على الاسلام أبكي . ان موت عمر ثلم الاسلام ثلمة لا تُرْتق الى يوم القيامة » . وقال الحسن : « أي أهل بيت لم يَجِدوا فَقْدَ عمر ، فهم أهل بيت سوء [1] . كالرجل المدبر لا يزداد الا بُعْداً » . وقال أيضاً : « انما مثل الاسلام أيام عمر مثل امرىء مقبل لم يزل في اقبال ، فلما قتل أدبر فلم يزل في ادبار » [2] .

ولما قتل عمر قال حذيفة : « اليوم ترك الناس حافة الاسلام ، وايْمُ الله لقد جار هؤلاء القوم عن القصد حتى لقد حال دونه وُعورة ، ما يُبصرون القصد ولا يهتدون له » . وقال أنس بن مالك : « لما أصيب عمر قال أبو طلحة : ما من أهل بيت من العرب حاضرٌ ولا بادٍ ، الا قد دخل عليهم بقتل عمر نقص » [3] .

وقال أبو عبيدة بن الجراح يوماً وهو يذكر عمر « ان مات عمر رقّ الاسلام ، وما أحبّ أن لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب واني ابقى بعد عمر » ، فقال قائل : « ولِمَ ؟؟ » ، فقال : « سترون ما أقول ان بقيتم . أما هو فان وَلِيَ والٍ بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يُطعْ له الناسُ ولم يَحْمِلوه ، وان ضَعُفَ عنهم قتلوه » [4] .

وقال حذيفة : « ما يَحبِسُ البلاءَ عنكم فراسخ الا موته في عنق رجل كتب الله عليه أن يموت » ، يعني : عمر [5] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٧٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٧٣).
(٣) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٧٣ – ٣٧٤) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٧٢) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣ / ٣٧٣) .

وقال علي : « اذا ذكر الصالحون ، فحيهلا [1] بعمر ! ما كنا نبعد ان السكينة تنطق على لسان عمر » [2] وقال عبد الله بن عمر : « ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قُبض كان أجد واجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب » [3] . وقال حذيفة : كأنّ علم الناس مدسوساً في حجر عمر » ، وقال أيضاً : « والله ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم غير عمر » . وذكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عمر يوماً فقالت : « كان والله أحوذياً نسيج وحده » [4] .

وقال طلحة بن عبيد الله : « ما كان عمر بأولنا اسلاما ولا أقدمنا هجرة ، ولكنه أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة » [5] . وقال الحسن : « ما فضل عمر على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياماً ، ولكنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأشدّهم في أمر الله » [6] ، وكان نقش خاتمه الذي اصطنعه لنفسه : « كفى بالموت واعظاً يا عمر » [7] .

وقال رجل من قريش لعلي بن أبي طالب : « يا أمير المؤمنين ! نسمعك تقول في الخطبة آنفاً : اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهتدين ، فمن هم ؟ » فاغرورقت عيناه ثم أهملها فقال : « هم حبيباي

---

(١) حيهلا : اي ابدأ به واعجل بذكره ، وهما كلمتان جعلتا كلمة واحدة .

(٢) رواه الطبراني في الاوسط . انظر تاريخ الخلفاء (٨١) .

(٣) فتح الباوي بشرح البخاري (٧ / ٤٠).

(٤) الاحوذي : الجاد المنكمش في اموره الحسن السيّاق للامور الجليلة . ونسيج وحده : رجل لا عيب فيه . واصله أن الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيره . ولا يقال هذا الا في المدح . انظر تاريخ الخلفاء (٨١).

(٥) الرياض النضرة (١ / ٢٦٠) .

(٦) العقد الفريد (٣ / ٦٩) .

(٧) الرياض النضرة (٢ / ٨٩) .

وعمّاك : أبو بكر وعمر ، اماما الهدى ، وشيخا الإسلام ، ورجلا قريش ، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارهما هدي الى صراط مستقيم ، ومن تمسّك بهما فهو من حزب الله ، وحزب الله هم المفلحون » . قال علي « ان الله عزّ وجل جعل أبا بكر وعمر حجّة على من بعدهم من الولاة الى يوم القيامة ؛ سبقا والله سبقاً بعيداً، وأتعبا من بعدهما اتعاباً شديداً » . وقال وهو على المنبر : « والذي خلق الحبّة وبرأ النسمة ، لا يحبهما (يعني أبا بكر وعمر) الا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما ويخالفهما الا شقيّ مارق ؛ فحبهما قربة وبغضهما مروق . ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين ؛ فأنا بريء ممن يذكرهما بسوء وعليه معاقب »[1] .

لقد أجمع الناس على غزارة علمه وألمعية فهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين واكرامه أهل الفضل والخير ، ومحاسنه أكثر من ان تستقصى[2] . سريرته خير من علانيته[3] ، خير الناس وأقواهم عليهم[4] .

لقد كان عمر قوياً أميناً ، نقياً ورعاً ، عادلاً لا يظلم ، أميناً لا يخون ، غيوراً لا يفجر ، وفياً لا يغدر ، صادقاً لا يكذب ، شجاعاً لا يجبن ، متواضعاً لا يتكبر ، نزيهاً لا يغل ، حريصاً لا يفتر ، كريماً لا يبخل ، صريحاً لا يلتوي ، واضحاً لا يتلوّن ، عزيزاً لا يذل ، مقداماً لا يتردد ، حازماً لا

(١) تاريخ عمر (٢٤ - ٢٥).
(٢) القسم الاول من تهذيب الأسماء واللغات (٢/٥) .
(٣) القسم الأول من تهذيب الأسماء واللغات (٢/١١) .
(٤) القسم الأول من تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢) .

يخور ، حذراً لا يغلب ، عالماً لا يجهل ، ذكياً أبياً شهماً .. لذلك كان موضع ثقة رجاله به ومحط آمالهم ومناط رجائهم .

أما ثقة عمر بنفسه ، فلا أول لها ولا آخر .

خطب عمر فقال : « أما بعد . فقد ابتليت بكم وابتليتم بي ، وخلفت بكم بعد صاحبي . فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومهما غاب عنا ولّينا أهل القوة والأمانة ؛ فمن يحسن نزده حسناً ، ومن يسيء نعاقبه [1] » . وقال : « ليعلم من ولي هذا الأمر من بعدي ان سيريده عنه القريب والبعيد . اني لأقاتل الناس عن نفسي قتالاً ، ولو علمت ان احداً من الناس اقوى عليه مني ، لكنت أقدّم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أليه [2] » .

وخطب يوماً فقال : « يا أيها الناس ! اني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء ان اكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليّت ذلك منكم .. [3] »

وكان اذا قيل : اتق الله فرح وشكر قائله ، وكان يقول : « رحم الله امرءاً أهدى الي عيوبي [4] » ، وقال : « أحبّ الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي [5] » .

ولما قدم عمر الشام ، لقيه الجنود وعليه ازار وخفّان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء قد خلع خفّيه وجعلها تحت أبطه ؛ فقالوا له « يا أمير المؤمنين ! الآن تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحال!

(١) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٤) .
(٢) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٥) .
(٣) الطبري (٣/٢٨٢) والموجود في كتب اللغة : اضطلاعاً لا استضلاعاً .
(٤) الرياض النضرة (٢/٦٥) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣) .

قال : « إننا قوم أعزّنا الله بالاسلام ، فلا نلتمس العز من غيره [1] » .

لقد كان عمر يثق بنفسه ويعرف قيمتها ويعتمد على شمائلها لا على المظاهر الزائفة والدعاوى الفارغة .

بل ان عمر لم يكن موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه ، بل كان موضع ثقة الناس حتى أعدائه ! فقد حضر ابو عبيدة بن الجراح حصر بيت المقدس ، فطلب أهله منه ان يصالحهم على صلح أهل الشام وان يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب ، فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك ؛ فسار عن المدينة المنورة واستخلف عليها علي بن ابي طالب [2] .

ترى ! هل يفقه الزعماء والرؤساء والملوك ... الخ ، كيف يستطيعون الاستحواذ على ثقة شعوبهم كما استحوذ عمر وأمثاله من امراء المسلمين على قلوب رعاياهم ، ام على قلوب أقفالها ؟؟

المحبة المتبادلة

كان عمر يحب رؤساءه ويحب مرؤوسيه ويبادلونه حباً بحب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : « متى الساعة ؟ » قال : « وماذا أعددت لها ؟ » قال : « لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ » ، قال : « أنت مع من أحببت » قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: أنت مع من أحببت . قال أنس :«فأنا أحبّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبّي اياهم وان لم أعمل بمثل

(١) الرياض النضرة (٢/٦٥) .

(٢) ابن الاثير (٢/١٩٣) والطبري (٣/١٠٤) .

أعمالهم »[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « حبّ أبي بكر وعمر من الأيمان ، وبغضهما من الكفر »[2] . وعن انس بن مالك قال : « كان صالحو السلف يعلّمون أولادهم حبّ أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السورة من القرآن»[3].

وقال أبو بكر الصديق : « مـا على ظهر الارض رجل احبّ الـيّ من عمر[4] .

وعن ابي وائل قال : « قدم علينا عبدالله بن مسعود فنعى الينا عمر ، فلم أر يوماً أكثر باكياً ولا حزيناً منه » ، ثم قال : « والله لو أعلم أن عمر يحب كلباً لاحببته ، والله لاحسب العضاهَ قد وجد على فقد عمر[5] .

وقد ذكرنا فيما سلف كثيراً من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال أصحابه في عمر مما يدل على حبّهم العميق له ، كما ذكرنا كثيراً من سجايا وأعمال عمر التي هي في صميمها خدمة نادرة للناس ودليل حبّه العميق لهم.

ان تعاليم الاسلام كـلّـها تحث على الخلق الكريم والمحبة والاخاء ، وقد كان عمر من المؤمنين حقاً الذين يحرصون كل الحرص على تطبيق تلك التعاليم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

الشخصيّة النافذة

كان عمر شخصية قوية في قريش قبل اسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٤٠) .
(٢) تاريخ عمر (١٧٩) .
(٣) تاريخ عمر (١٧٩) .
(٤) تاريخ الخلفاء (٨١) .
(٥) تاريخ عمر (١٧٥ - ١٧٦) .

وسلم يقول : اللهمّ أعزّ الاسلام بأحب الرجلين اليك : بأبي جهل أو بعمر ابن الخطاب » ، فكان أحبهما اليه عمر [1] ؛ وقال : « اللهم أعزّ الدين بعمر ابن الخطاب [2] .

ولما أسلم عمر ظهر الاسلام ودعي اليه علانية ، وجلس المسلمون حيث البيت حِلَقاً وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم وردوا عليه بعض ما يأتي به [3] ؛ فما زال المسلمون أعزة منذ أسلم عمر [4] ؛ وقد قاتل المشركين بمكة حتى تركوا المسلمين يصلون بالبيت العتيق [5] .

وهاجر عمر علناً ، قال علي بن ابي طالب : « ما علمت أحداً هاجر الا مختفياً الا عمر بن الخطاب ... الخ [6] ؛ ... هاجر علناً متحدياً قريشاً كلها .

لقد كان مهيباً ، قال سعد بن ابي وقاص : « استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهنّ ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك . فقال عمر : اضحك الله سنّك يا رسولَ الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ! قال عمر : فأنت يا رسول الله احقّ أن يهبن . ثم قال عمر : أي عدوّات أنفسهنّ ! أتهبنني ولا

---

(١) أخرجه الترمذي . انظر تيسير الوصول (٣ - ٢٤٦) وطبقات ابن سعد(٣- ٢٦٧).
(٢) طبقات ابن سعد (٣ - ٢٦٧) .
(٣) طبقات ابن سعد (٣ - ٢٦٩) .
(٤) طبقات ابن سعد (٣ - ٢٧٠) .
(٥) طبقات ابن سعد (٣ - ٢٧٠) .
(٦) تاريخ الخلفاء (٧٨).

تهبن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ؟ قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً الا سلك فجاً غـير فجك » [١] .

وكان الذين يعرفون عمر أهيب له من الذين يجهــلونه ، وتلك علامة على ان هيبته كانت قوة نفس تملأ الانظار . وربما اجترأ عليه من لم يعرفه ولم يختبره لتجافيه عن الخيلاء وقلّة اكتراثه بالمظهر والثياب . أمـا الذين عرفوه واختبروه ، فقد كان يروعهم على المفاجأة روعة لا تذهبها الألفـة وطول المعاشرة [٢] .

كان عمر يمشي مرة وخلفه عدة من أصحـاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ بدا له فالتفت ، فما بقي منهم أحد الا وجب لركبتيه ساقطـاً ؛ فأرسل عمر عينيه بالبكاء ثم قال : « اللهمّ انك تعلم اني منك أشدّ فرقـــاً منهم مني » [٣] .

وكلـّم نفر من المسلمين عبد الرحمن بن عوف فقالوا : « كلـّم عمر بن الخطاب فانه قد أخشانا حتى والله مـــا نستطيع أن نديم اليه أبصارنا » . وذكر عبد الرحمن ذلك لعمر فقال : « اوقد قالوا ذلك ؟ والله لقد لنتُ حتى تخوّفت الله في ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خفت الله في ذلك . وايم الله ، لانا أشد منهم فرقاً من الله منهم مني » [٤] .

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥ / ١٤٩ - ١٥٠) وفتح البـــاري بشرح البخاري (٧ / ٣٧ - ٣٨) .

(٢) عبقرية عمر (٢٤) .

(٣) تاريخ عمر (٩٩)

(٤) تاريخ عمر (١٠٠) .

ولقي رجل من قريش عمر ، فقال : « لِنْ لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة ! » ، فقال : « أفي ذلك ظلم ؟ » ، قال : « لا » قال : « فزادني الله في صدوركم مهابة »[1] .

وعن عبد الله بن عباس قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن اسأل عمربن الخطاب عن آية ؛ فلا أستطيع أن أسأله هيبة »[2] .

• لقد فرضت سجايا عمر الفذّة شخصيته على النفوس : ذكي لامع الذكاء ، عاقل حكيم ، قوي في الحق ، زاهد في الدنيا ... حريص على مصائر الناس ، لا يخشى في الله لومة لائم ... يملأ منصبه ولا يملؤه منصبه .

قيل لعثمان : « مالك لا تكون مثل عمر ؟ » ، فقال : « لا أستطيع أن اكون مثل لقمان الحكيم »[3] .

وقال الحسن : « ما فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياماً ، ولكنه كان أزهدهم في الدنيا ، واشدّهم في أمر الله »[4] .

وسئل ابن عباس عن عمر فقال : « كان كالطير الحذر الذي يرى أن له بكل طريق شركاً يأخذه »[5] .

وذكر المغيرة بن شعبة عمر فقال : « كان والله له فضل يمنعه أن يخدع ، وعقل يمنعه أن ينخدع » . وقال عمر « لست بخبٍ ولا الخبّ يخدعني »[6] .

---

(١) تاريخ عمر (١٠٠) .
(٢) تاريخ عمر (١٥٥) .
(٣) العقد الفريد (٣ / ٦٩) .
(٤) العقد الفريد (٣ / ٦٩) .
(٥) تاريخ الخلفاء (٨٢) .
(٦) العقد الفريد (٣ / ٦٩) .

تلك المزايا وغيرها جعلت شخصية عمر لها قيمتها المرموقة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والتابعين من بعدهم وعند المسلمين وغير المسلمين منذ كان عمر حتى الآن .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً فسمع لغطاً وصوت صبيان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن [1] والصبيان حولها ، فقال : « يا عائشة ! تعالي فانظري » ؛ فطلع عمر فارفض [2] الناس عن الحبشية ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اني لأنظر الى شياطين الأنس والجن قد فرّوا من عمر [3] » .

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض مغازيه ، فجاءت جارية سوداء فقالت : يا رسول الله ! اني قد كنت نذرت ان ردّك الله سالماً أن اضرب بين يديك بالدفّ وأتغنّى » ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان كنت نذرت فاضربي ، وإلا فلا » ، فجعلت تضرب ، فدخل ابو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان ليخاف منك يا عمر . اني كنت جالساً وهي تضرب ، ثم دخل ابو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف [4] » .

وعن عائشة أم المؤمنين قالت : « دخلت امرأة من الأنصار إليّ فقالت : « اني أعطيت الله عهداً اذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في أمن لأنقرنّ

(١) تزفن : ترقص .
(٢) ارفض : تفرّق .
(٣) اخرجه الترمذي . انظر الرياض النضرة (٢٧١/١) .
(٤) اخرجه الترمذي . انظر الرياض النضرة (٢٧١/١) .

على رأسه بالدف » . فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : قولي لها فلتف بما حلفت . فقامت بالدف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرتين او ثلاثاً ، فاستفتح عمر ، فسقط من يدها الدف وأسرعت الى خدر عائشة ، فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت : سمعت صوت عمر فهبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان الشيطان ليفرّ من حس عمر [1]».

ان من حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، انه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بأثرها في نصرة الحق وهزيمة الباطل ، وتأمين الخير والصدق واخافة اهل البغي والبهتان .

وكان من عوامل قوة شخصية عمر ، انه كان له رأيه الخاص يقوله واضحاً صريحاً حتى في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم التي تتطامن عندها الجباه وأولها جبهة عمر .

أبدى رأيه في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر ، فوافقه القرآن الكريم في تلك الثلاث [2] . كما ذكرنا سابقاً .

ولكنه أبدى رأيه الصريح الواضح في امور اخرى للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ردّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بحجته اقتنع عمر وسمع وأطاع.

قال عبدالله بن عمر : « لما توفي عبدالله بن أبيّ بن سلول جاء ابنه عبدالله بن عبدالله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله ان يعطيه قميصه حتى يكفّن فيه أباه ، فأعطاه . ثم سأله ان يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! أتصلي عليه وقد نهاك الله عز وجل ان تصلي

---

(١) تاريخ الخلفاء (٢٧١-٢٧٢) .

(٢) النووي على مسلم (٥/١٥٠) .

عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما خيّرني الله فقال : (استغفر لهم او لا تستغفر لهم . ان تستغفر لهم سبعين مرة)[1] وسأزيده على سبعين. قال : انه منافق ! فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (ولا تصلّ على احد منهم أبداً ولا تقم على قبره)[2] .

وفي غزوة (الحديبية)[3] بعد المفاوضات بين المسلمين وقريش ، بعثت قريش سُهيل بن عمرو اخا بني عامر بن لؤي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقالوا : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عنّا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب عنّا انّه دخلها علينا عَنْوَةً أبدا .وأتاه سهيل فتكلم وأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ؛ فلما التأم الأمر ولم يبق الا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : « يا أبا بكر ! أليس برسول الله ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال : « أولسنا بالمسلمين ؟ » ، قال : « بلى ! » قال : « أوليسوا بالمشركين ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال: «فعلام نُعْطي الدنية في ديننا ؟ » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره ، ولن يضيعني» ؛ فكان عمر يقول : ما زلت أتصدّق واصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً »[4] .

هكذا يبدي رأيه واضحاً صريحاً ، ولكنه يسمع ويطيع عندما يقول أو يأمر نبيه وقائده . ان واجبه أن يبدي رأيه ولا عليه ان أخذ برأيه أولا

---

(١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩/٨٠) .

(٢) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩-٨٤) . وانظر هذا الحديث الشريف في شرح النووي على صحيح مسلم (٥-١٥٠) .

(٣) انظر الرسول القائد (١٧٧ - ١٩٣) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣ - ٣٦٥ - ٣٦٦) .

... المهم أن يكون له رأي مستقل يبديه مخلصاً لأنه مقتنع به .

ولكن ليس كل انسان يبدي رأيه مخلصاً صريحاً واضحاً ... وأين في الناس فتى مثل عمر ؟؟

وفي أيام ابي بكر كان عمر يبدي رأيه صريحاً واضحاً بكل اخلاص : أبدى رأيه في أمر جيش اسامة ، وأبدى رأيه في أمر قتال أهل الردة ، وأبدى رأيه في أمر عزل خالد بن الوليد .. وابدى رأيه في كثير من الأمور ، ولكنه كان يقف عند حدود ابداء الرأي ، ثم يسمع ويطيع ...

وفي عهده أبدى رأيه مجتهداً في كثير من الأمور : في المؤلفة قلوبهم ، وفي المتعة ، وفي تأميم الأرض المفتوحة ... الخ مما سبق ذكره ، وحمل الناس على ابرام آرائه بعد استشارات طويلة ومناقشات كثيرة ...

وقد خضع العرب وخضعت قريش لأوامره ، فلما مات كان كما قال أبو عبيدة بن الجراح : « ان ولي والٍ بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يُطِعْ له الناس ولم يحملوه ، وان ضعف عنهم قتلوه »[1] .

ذلك أن عمر كان يعرف قدر نفسه ولا يتهاون لحظة في التغاضي عن واجبه تجاه الناس ، ولكنه أيضاً كان لا يتهاون لحظة عن حقوقه على الناس.

أتي عمر بمال فجعل يَقْسِمُه بين الناس، فازدحموا عليه ، فأقبل سعد بن ابي وقاص يُزاحم الناس حتى خلص اليه ، فعلاه عمر بالدرّة وقال : « انك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض ، فأحببت أن أعلمك ان سلطان الله لن يهابك»[2] .

لقد كان عمر قوي النفس بالغاً في القوة النفسية ، ولكنه على قوته البالغة

(١) طبقات ابن سعد (٣ - ٢٧٢) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣ - ٢٨٧) وانظر الطبري (٣ - ٢٨٠)

لم يكن من أصحاب الطمع والاقتحام ، ولم يكن ممن يندفعون الى الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان ، بغير دافع يحفزه اليه وهو كاره ، لانه كان مفطوراً على العدل واعطاء الحقوق والتزام الحرمات ما التزمها الناس من حوله...

والى ذلك أشار عمر في قول صريح حين قال لمن هابوه وتحدثوا بخوف الناس منه : « بلغني أن الناس هابوا شدّتي وخافوا غلظتي وقالوا : لقد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم اشتدّ علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف وقد صارت الأمور اليه ؟ » ومن قال ذلك فقد صدق ! فقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي . فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، وأنا به أسعد .

« ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا ينكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدّتي بلينه ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي ؛ فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عزّ وجل وهو عني راضٍ فاعلموا أن تلك الشدّة قد اضعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على أهل المسلمين ؛ فأما أهل السلامة والدين والقصد ، فأنا ألين لهم من بعض لبعض » [1] .

تلك هي عوامل قوة شخصية عمر وشدة سيطرته على الرعية وعظم هيبته في النفوس : استقامة مثالية ، وحرص على المصلحة العامة ، وقوة في الحق ، وقابلية على تفهّم الامور ومعالجتها ، وتفرّغ كامل لواجباته يؤديها على أحسن

---

(١) انظر عبقرية خالد « ١٧ - ١٨ » .

وجه ، ولحقوقه يطالب بها على أحسن صورة ...

الماضي الناصع المجيد

ابو عمر هو الخطاب بن نُفَيْل من بني عَدي ويِنسب الى عَدي ، فيقال: العَدوِي [1] يكنى : أبا حفص ، وأمه حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة المخزومي [2] .

وبنو عدي بطن من عشرة أبطن من قريش انتهى اليها الشرف قبل الاسلام [3] ، وكانت الى عمر السفارة في الجاهلية [4] ، فكانت قريش اذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً ، واذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً أو مفاخراً [5] .

كان بعد إسلامه يدعى : الفاروق ، لأنه أعلن الإسلام ونادى به والناس يخفونه ،ففرق بين الحق والباطل ؛ وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة بمكة ، فكمّلهم عمر أربعين [6] .

لقد خدم عمر الاسلام والمسلمين بعد اسلامه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصديق ابي بكر بما لا مزيد عليه من خدمة ، فلم يجد أبو بكر أفضل من عمر ليوليه الخلافة من بعده .

وقد خدم عمر الإسلام والمسلمين في أيام خلافته بما لا مزيد عليه من خدمة ،

---

(١) المعارف « ١٧٩ » .

(٢) الاستيعاب « ٣ - ١١٤٤ » وفيه ان من ذكر ان حنتمة بنت هشام بن المغيرة فهو مخطىء . وانظر القسم الاول « ٢ - ٣ » من كتاب تهذيب الاسماء واللغات .

(٣) سيرة ابن هشام « ١ - ١٤٣ » .

(٤) الاصابة « ٤ - ٢٧٩ » .

(٥) تاريخ الخلفاء « ٧٤ » وبلوغ الارب « ١ - ١٥٠ » .

(٦) المعارف « ١٨٠ » .

لذلك كان موته خسارة عامة للاسلام والمسلمين كما مرّ بنا .

كان عمر كريم الأب والأم ، يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجد السابع من جهة أبيه [1] ، ويجتمع معه جهة أمه في الجد السادس[2].

ولد بمكة قبل حرب الفجار الأعظم [3] ، وفي رواية أخرى أنه ولد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ، أي في سنة (٥٨٤ م) [4] . وكان في صغره يرعى الغنم لأبيه ، ثم احترف التجارة ، وكان يختلف فيها الى بلاد الشام ؛ فاتسعت مداركه وتجاربه بما شاهده من أحوال هذه البلاد وطرق التعامل وأخلاق الناس .

وكان من أشد معارضي الاسلام قبل اسلامه ، فلما أسلم اصبح من أقوى مؤيدي الإسلام .

شدّ أزر الإسلام في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان وزيره ومستشاره المقرّب ، وكان من المهاجرين الاولين وممن صلى الى القبلتين وشهد سائر المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبت في (أحد) ويوم (حنين). أعزّ الله به الاسلام وسماه النبي صلى الله عليه وسلم : عبقرياً ومحدثاً ومراج

---

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي . انظر أسد الغابة « ٤ - ٥٢ » وجمهرة أنساب العرب « ١٥٠ - ١٥١ » .

(٢) حنتمه بنت هاشم بن المغيرةبن عبدالله بن عمر بن مخزوم . انظر أسد الغابة(٤ - ٥٢) وجمهرة أنساب العرب (١٤٤) .

(٣) انظر أسد الغابة (٤ - ٥٣) . والفجار هي حروب وقعت بين قبائل من عرب الحجاز في الاشهر الحرم ، وهي الشهور التي يحرم فيها القتال . وكان الفجار الاعظم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وقد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربع عشرة سنة ، وقال : (كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة) ، يعني أناولهم النبل . انظر تفاصيل حروب الفجار في : أيام العرب قبل الاسلام (٣٢٢ - ٣٣٧) .

(٤) انظر : زعماء الاسلام - ٢٥ - .

اهل الجنة وفاروها ، وقد بشّره بالجنة [1] .

والى عمر يرجع الفضل في تولية ابي بكر الخلافـــة ، وحسم النزاع الذي اوشك ان يتفاقم بين المهاجرين والانصار على أثر التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى .

وكان عمر الوزير الاول لأبي بكر وقاضي المسلمين وساعده الايمن فيحرب الردّة وفي حروب الفتح ، وكان موضع ثقـــة ابي بكر فأوصى بتوليته من بعده .

وعمر اول من كتب بالتاريخ الهجري ، واول من حضّ على جمع القرآن، واول من جمع الناس على قيام رمضان ، واول من عسّ في عمله وحمل الدرّة وأدّب بها . ووضع الخراج ومصّر الأمصار واستقضى القضاة ودوّنالدواوين وفرض الأعطية ، وفتح الله على يده اوسع البلاد وأهمها وأخصبها [2] .

وعمر أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السابقين الأولين ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحد كبارعلماء الصحابة وزهادهم [3] .

وكان عمر اول من وضع النظام السياسي للدولة الإسلامية، ونظم ادارتها؛ وكانت سياسته ترمي الى تماسك بلاد العرب ، وادخال القبائل بعضها فيبعض لتكون امة واحدة هي الامة العربية [4] تحت لواء الإسلام .

ولما اتسعت الدولة الاسلامية في عهده ، قسّم البلاد اقساماً ادارية كبيرة،

---

(١) الرياض النضرة « ٢/٣ » .

(٢) الرياض النضرة « ٢/٣ » .

(٣) تاريخ الخلفاء « ٧٤ » .

(٤) زعماء الاسلام « ٢٣ » .

ليسهل حكمها والاشراف على موارد ثروتها ، وعيّن لهذه الولايات عمّالاً او ولاة لادارتها .

وكان يسأل الرعية اذا قدموا عليه عن اميرهم ، فاذا قالوا : خيراً ، سألهم : « هل يعود مرضاكم ؟ هل يعود العبد ؟ كيف صنيعه بالضعيف وهل يجلس على بابه ؟ » ، فاذا لم يكن عامله كما يريد عزله [1] . ولم يك له باب ولا حجّاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه الناس [2] .

وقد عزم عمر على الطواف بالبلاد الاسلامية (ليرى) مشاكل الناس بعينه ، ولا يكتفي (بالسماع) عنها بأذنيه ، وشتان بين ان (ترى) بعينيك ، وان تسمع بأذنيك !

وفي عهد عمر توطدت دعائم الاسلام واتسعت رقعة دولته ، فمهّد بذلك السبيل لامتداد نفوذ الاسلام من الصين شرقاً الى اعماق اوروبة غرباً ، الى حدود سيبيريا شمالاً ، الى المحيط جنوباً .

لا عجب بعد كل ذلك ان يترحم عليه علي بن ابي طالب ويقول : « ما خلّفت احداً احب ان القى الله بمثل عمله منك [3] » .

لقد كان لعمر ماض ناصع مجيد في كل ادوار حياته : مرؤوساً ورئيساً حاكماً ومحكوماً ، قاضياً ومشرعا اداريا وقائداً ، في السر والعلانية ، في الحرب والسلم ، في الناس وفي أهله ... في كل عمل من أعماله العامة والخاصة ...

---

(١) انظر الشخصيات البارزة « ١٩٢ » .

(٢) الطبري « ٣/٢٧٢ » .

(٣) فتح الباري بشرح البخاري « ٧/٣٩ » وشرح النووي على مسلم « ٥/١٤٦ » وسنن ابن ماجة « ١/٣٦ » .

لقد جمع المجد بحق من أطرافه ، فكان ملء السمع والبصر في حياتـه ، ملء صفحات التاريخ بعد موته .

انه مثال لكل ملك وأمير وزعيم ورئيس يريد لأمته المجد والرفعة والبقاء ، ولنفسه رضى وعلوّ الذكر حياً وميتاً ...

فهل من معتبر ، أم غرّتهم الحياة الدنيا وغرّهم عن واقعهم من حولهم من المنافقين ؟

عُمر في التّاريخ

بوفاة عمر رضي الله عنه، ختم أروع فصل في تاريخ الاسلام والمسلمين منذ النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر الدهر ؛ فلم يعرف المسلمون ، وما أراهم سيعرفون في يوم من الأيام خليفة يشبه عمر من قريب أو بعيد؛ فقد رأيت انه كان ازهد خلفاء المسلمين وملوكهم في الدنيا وأشدّهم لها ازدراء وأعظمهم منها نفورا .

لقد فتح بلاد الفرس كلها ، وفتح الشام والجزيرة ومصر وبرقـــة ، ولم يستطع خليفة بعده ان يزيد على ذلك الا ما كان من فتح افريقيـة ايام عثمان ابن عفّان رضي الله عنه ، ومن المضي في هـــذا الفتح الى المحيط، ومن فتح الاندلس ايام بني أمية .

ولا يعرف المسلمون بعد عمر خليفة أو ملكاً جعل بيت المال ملكاً للمسلمين ينفق منه على الجيوش المحاربة ، ويعين منه من احتاج الى المعونة ، ويوّفر ما بقي منه ليشيعه بين المسلمين رجالهم ونسائهم وأطفالهم ، يأخذون. منـــه اعطياتهم كل عام ، تسعى اليهم هذه الاعطيات دون ان يتكلّفوا مشقة في طلبها ، سواء في ذلك منهم القريب والبعيد. وقد رأيت انه كان يحمل بنفسه المال الى البادية القريبة من المدينة ومكة فيعطيه للناس في ايديهم ، وقد رأيت كذلك في عام الرمادة انه كان يحمل الطعام على ظهره ويسعى به إلى الاعراب

النازلين حول المدينة ، وربما طبخه لهم بنفسه ، ولم يعرف المسلمون ملكاً او خليفة بعده عني بحماية الذميين والرفق بهم في امرهم كله كما عني به عمر.

ثم لم يعرف المسلمون خليفة او ملكاً بعده عني مِثْلَهُ بأمر الدين واقامة الحدود وتأديب الناس في الصغير والكبير من اعمالهم ، وعلّم المسلمين دينهم رفيقاً بهم ، حريصاً على ان تستقيم لهم امور دنياهم ، على ان يجنّبهم ما يؤخذون به في آخرتهم ما استطاع الى ذلك سبيلا ..

فعل هذا كله حتى بلغ منه ما لم يبلغ الخلفاء والملوك في الاسلام وفي الارض التي لم تُسْلِم ؛ فلسنا نعرف اليوم بلداً يوفّر فيه الرزق على الناس من بيت المال او من خزائن الدولة ، دون ان يمنعهم ذلك من العمل لانفسهم وللناس ومن التزيّد في الكسب والتوسّع في الغنى .

ولم يكن عمر يعرف قانوناً الا القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولم تكن له شرطة يستعين بها على حفظ الامن والنظام ، ولكنه ساس المسلمين على نحو جعلهم جميعاً شرطة له في المدينة وشرطة لولاته في الامصار ؛ فليس غريباً وهو الذي فعل هذا كلّه واكثر من هذا كله ، ان تكون الفاجعة بموته عظيمة والخطب به جليلا [١] .

قال الاحنف بن قيس : كنّا جلوساً بباب عمر ، فمرّت جارية فقالوا : سريّة امير المؤمنين ، فقال : ما هي لامير المؤمنين بسرية ولا تحلّ له ، انها من مال الله ! فقلنا : فماذا يحلّ له من مال الله تعالى ؟ فقال : « انه لا يحل لعمر من مال الله الا حُلَّتَانِ : حلّة للشتاء ، وحلّة للصيف ، وما احجّ به واعتمر ، وقوتي وقوت اهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ،

---

(١) الشيخان « ٢٤٧ - ٢٤٩ » .

ثم انا بعد رجل من المسلمين ؟ » [1] .

ولكن ما هو نوع الحلتين اللتين يرتديهما عمر ، وما نفقة حجته وعمرته ، وما هو نوع قوته وقوت أهله ؟؟ ...

قال أنس بن مالك : « رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع لبدَ بعضها فوق بعض » . وقـال : « رأيت عمر ابن الخطاب يرمي جمرة العقبة وعليه ازار مرقوع بفروٍ وهو يومئذٍ والٍ » . وقال : « رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميص له » [2] .

وانفق عمر في حجته ستة عشر ديناراً ، فقال : « يا عبدالله بن عمر ! أسرفنا في هذا المال! » [3] وانفق في حجته مرة اخرى خمسة عشر ديناراً [4]، وقد خرج الى مكة فما ضرب فُسطاطاً حتى رجع وكان يستظل بالنّطع [5].

وقدم ابو موسى الأشعري في وفد اهل البصرة على عمر فقالوا : « كنا ندخل كل يوم وله خبز ثلاث ، فربما وافقناها مأدومة بزيت ، وربما وافقناها بسمن ، وربما وافقناها باللبن ، وربما وافقناها بالقدائد اليابسة قد دُقت ثم اغلي بها ، وربما وافقناها اللحم الغريض وهو قليل .. فقال لنا يوماً : « ايها القوم ! اني والله لقد ارى تعذيركم وكراهيتكم لطعامي ، واني والله لو شئت لكنت اطيبكم طعاماً وارفعكم عيشاً ، اما والله ما اجهل عن كراكر واسنمة وعن صلا وصناب وصلائق ، لكني سمعت الله عزّ وجل ثناؤه عيّر قوماً

---

(١) تاريخ عمر (٨٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣-٣٢٧) وانظر صفة الصفوة (١-١٠٨)

(٣) طبقات ابن سعد (٣-٣٠٨) .

(٤) طقبات ابن سعد (٣-٢٧٩) .

(٥) طبقات ابن سعد (٣-٢٧٩) والنطع بساط من الجلد .

بأمر فملوه، فقال: (اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)»[1]

وقال الربيع بن زياد الحارثي لعمر : « ان احق الناس بطعام ليّن ومركب ليّن وملبس ليّن لأنت » ، فرفع عمر جريدة معه فضرب بها رأسه وقال« اما والله ما اراك اردت بها الله وما اردت بها الا مقاربتي »[2].

لقد كان عمر يستنفق درهمين كل يوم له ولعياله[3] . ولم يركب دابّة عام الرمادة وقال : « والله لا اركبها حتى تحيا الناس»[4] . وكانت بطنه تقرقر من الزيت ذلك العام فكان يقول . « تقرقر !! والله لا تأكله (اي السمن) حتى يأكله الناس »[5] ، ولم يقرب امرأة عام الرمادة ، حتى احيا الناس ، هماً[6] .

وكان يقول : « اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مـال اليتيم ، ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلتُ بالمعروف »[7] .

من عظمة عمرأنه لم يهتم ببطنه وجيبه وفرجه وملبسه وكرسيّه،بينما جعل كثير من الحاكمين ذلك كلّ همهم من الحياة .

انه لم يقل : ان الدنيا تبدّلت ، وانني فتحت البلاد وغلبت القياصرة والأكاسرة ، فلا بد من مـأكل فاخر ومال وافر وملبس ليّن ومسكن

---

(١) طبقات ابن سعد «٣-٢٧٩» . كراكر جمع كركرة ، وهي صـدر كل ذي خف . والصلا : وسط الظهر من كل ذي أربع . والصناب : ككتاب ، الطويل الظهر ، والصلائق : الخبز الرقـاق .
(٢) طبقات ابن سعد «٢٨٠» .
(٣) طبقات ابن سعد «٣٠٨» .
(٤) طبقات ابن سعد «٣-٣١٢» .
(٥) طبقات ابن سعد «٣١٣» .
(٦) طبقات ابن سعد «٣-٣١٥» .
(٧) طبقات ابن سعد «٣-٢٧٦» .

مريح ... الخ ، بل بقي كما هو على اثر صاحبيه من قبله : النبي ﷺ وابي بكر الصديق ، فقال في خطبة له : « ... واني امرؤ مسلم وعبد ضعيف الا ما اعان الله عزّ وجل ، ولن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً ان شاء الله ، انما العظمة لله عزّ وجل وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولنّ احد منكم : ان عمر تغيّر منذ ولي ، اعقل الحق من نفسي ، واتقدم وابيّن لكم امري، وأيما رجل كانت له حاجة او ظُلم مظلمة او عتب علينا في خلق ، فليؤذني ، فانما انا رجل منكم »[1] .

ان الانسان – اذا كان انساناً حقاً – يكون له مثل عليا يؤمن بها ، وهو بهذا وحده يتميّز عن الحيوان .

والمثال الشخصي الذي ضربه عمر للمسلمين في أيامه في النزاهة والأمانة ، جعل من كل واحد منهم مثالاً حياً للنزاهة المطلقة وللأمانة النادرة .

لما قُدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته ونفائسه ، قال : « ان اقواماً ادّوا هذا لذوو امانة » ، فقال علي بن أبي طالب : « انك عففت فعفّت الرعية »[2] . فلا يلومنّ مسؤول خان أمانته او ارتشى غيره اذا خان او ارتشى ، فلو انه كان اميناً نزيهاً لسرت امانته ونزاهته الى من يحكمهم وتمكنت منهم .

كان عمر يقول : « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا ، فانه اهون عليكم في الحساب غداً ان تحاسبوا انفسكم اليوم .. تزيّنوا للعرض الاكبر »[3] .

---

(١) الطبري (٣-٢٨٢) ،

(٢) الطبري (٣-١٢٨) .

(٣) صفة الصفوة (١-١٠٩) .

وكتب الى ابي موسى الأشعري بالبصرة : « اما بعد . فان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، وان اشقى الرعاة عند الله عزّ وجـــل من شقيت به رعيّته ، واياك ان ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الارض فرعت فيها تبغي بذلك السمن ، وانما حتفها في سمنها ، والسلام عليك» [١] . وكتب الى ابي موسى ايضاً : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله عزّ وجل ، فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام» [٢] .

« ... لم أر عبقرياً يفري فريه » [٣] ، كلمة قالها النبي عليه السلام في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولهـــا الا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال [٤] . وقال ابو بكر الصديق : « ما على ظهر الأرض احبّ اليّ من عمر» [٥] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « وزيراي من اهل الارض ابو بكر وعمر، وانهما السمع والبصر » [٦] .

وقيل لعمر : انك قضاء ، فقال : «الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحمة وملأ قلوبهم رعبا » . وعوتب عمر فقيل له : « لو اكلت طعامـاً طيباً اقوى لك على الحق» ، فقال : «اني تركت صاحبيّ على جادة ، فان ادركت جادتهما فلم

---

(١) حليه الاولياء (١-٥٠) .

(٢) حلية الاولياء (١-٥٠) .

(٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧-٣٦) وشرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم (٥-١٤٧) وعبقري القوم : سيدهم وكبيرهم وقويهم . ويفري فريه : أي يعمل عمله .

(٤) عبقرية عمر (١٠) .

(٥) تاريخ الخلفاء (٨١) .

(٦) البداية والنهاية (٧-١٣٤) .

ادركها في المنزل» . وكان يلبس وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالاسواق على عاتقه الدرّة يؤدب بها الناس ، واذا مرّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل الناس ينتفعون به !! [١] .

ورآه علي بن ابي طالب يعدو الى ظاهر المدينة ، فقال له : « الى اين يا امير المؤمنين ؟ » ، فقال : «قد ندّ بعير من إبل الصدقة ، فأنا اطلبه» ، فقال : « قد اتعبت الخلفاء من بعدك»[٢] .

لقد اتعب الخلفاء من بعده حقاً ، وقد مضت القرون ولم تلد النساء مثله ، ولا اراها ستلد مثل عمر !

انه من قوم لا يرون فضائلهم فضائل ، ولكنهم يرونها امانات ائتمنوا عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا ، فهم يُزرعون في الأمم زرعاً بيد الله ، ولا يملك الزرع غير طبيعته [٣] .

ان فضائل عمر التي يذكرها له التاريخ باعجاب اي اعجاب وتقدير اي تقدير ، كثيرة لا تكاد تعدّ ولا تحصى .

انه كان أعظم فاتح في تاريخ الاسلام كلّه دون منازع ، وكان من روّاد الجيش الاسلامي الاولين في تنظيمه وتسليحه وتدريبه وتجهيزه وقيادته .

كان إسلامه حداً فاصلاً بين عهدين للاسلام : عهد الدعوة سراً قبل اسلامه ، وعهد الدعوة علناً بعد اسلامه .

وشهد مع النبي ﷺ كل غزواته ، وقاد في أيامه بعض السرايا[٤] ، وثبت

---

(١) البداية والنهاية (١٣٤/٧) .
(٢) البداية والنهاية (١٣٦/٧) .
(٣) وحي القلم (١٨٠/٢) .
(٤) طبقات ابن سعد (٢٧٢/٣) .

في أعصب المواقف الى جانب الرسول القائد : في (أحد) ويوم حنين .

وكان في ايام ابي بكر الصديق الساعد الأيمن لخليفة رسول الله ﷺ في اعماله العسكرية والادارية ، وكان لمبادرتـه ببيعة ابي بكر يوم السقيفة اثر حاسم في القضاء على الفتنة الداخلية بين المهاجرين والأنصار في مهدها.

وكان لرأيه في جمع القرآن الذي أبداه لأبي بكر وألحّ عليـه لوضعه في حيّز التنفيذ بعد استشهاد كثير من حملة القرآن في معارك الردّة ، اثر حاسم على حفظ القرآن الكريم من الضياع .

وفي ايامه ظهرت عبقريته الفذّة في توطيد اركان الدولة الاسلامية وتوسيع نفوذها واشاعة الحق والعدل والحرية والمساواة في ربوعها .

انه لم ينجح اعتباطاً في مهمته قائداً وادارياً ... فما هي أسباب نجاحه ؟

كانت له عقلية مدركة منظمة : يؤمن بالشورى ، ولا يحيد عن العدل المطلق ... فكان اول من كتب التاريخ الهجري ، واول من اتخـذ بيت المال ، واول من دوّن الدواوين ، واول من امم الأرض المفتوحة ، واول من مصّر الأمصار .

اما اسباب سرعة واندفاع وانتشار الفتح في ايامه فهي : اقامة الوحدة السياسية في بلاد العرب على اسس سليمة ، وبذلك اصبحت (القاعدة) التي ترتكز عليها الجيوش في ايام الفتح قوية رصينة .

وتفتيت الفروق التي كانت قائمة بين العرب انفسهم ، وبذلك اصبحوا امة واحدة متماسكة امدّوا الجيوش الاسلامية بسيل جارف من القادة والجنود .

وكان عمر اول من جعل الجند فئـة مخصوصة وانشأ (ديوان الجند) للاشراف عليهم بتسجيل اسمائهم واوصافهم ومقدار ارزاقهم واحصاء اعمالهم.
وعندما انصرف اولئك الجند بعد الفتح وتكوين الثروة وامتلاك العقارات

الثابتة ، فطن عمر الى هذا الخطر وامرهم بالانصراف الى الجهاد وضمن لهم ارزاقهم وارزاق عوائلهم . والى عمر يرجع الفضل في اقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجنود اثنـــاء الطريق ، بعد ان كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل ولا يرتاحون اثناء الطريق . كما بنى العواصم واقام الحاميات في عدّة اماكن لصدّ هجمات الأعداء المفاجئة [1] .

هكذا كان جنـــد المسلمين في ايام عمر ، كل جندي منهم يؤمن بعقيدة واحدة هي الإسلام ، له هدف واحد هو اعلاء كلمة الله ، مدرّب ، مسلّح ، له عطاء خاص لسدّ حاجته وحاجة اهله ، مطمئن على مصير اهله في صحرائه او في قريته او في مدينته ، تخصص له الدولة ما تحمله عليه الى ميدان القتال اذا لم يجد ما يمتطيه ، مرتاح في سفره وله سكن بعد المعركة ...

هذا الجندي يقاتل بامرة قادة ماهرين ، فقد كان لعمر قابلية فذّة على انتخاب الرجال المناسبين للعمل المناسب ...

وهذه الجيوش بقيادتها تعمل متعاونة بقيادة عمر قائداً سَوْقِياً فـذاً من اعظم القادة السَّوْقِيّين في تاريخ الحرب كلّه ، وتحارب حربـاً انسانية بعيدة كل البعد عن الظلم والعدوان ...

تلك هي اسباب سرعة اندفاع الفتح الاسلامي في عهد عمر بن الخطاب... وهي اسباب كفيلة بسرعة اندفاع اي فتح في اي عصر من العصور .

وكان من نتائج الحرب الانسانية التي خاضها العرب المسلمون في عهد عمر ، والحرّية التي كفلها الفاتحون لأهل البلاد المفتوحة في امر العقيدة ، مما دعـا الفرس والروم وغيرهم للاقبال على الاسلام وعلى اللغة العربية . وزاد في اقبالهم مـــا فرضه الاسلام من المساواة بين المؤمنين على اختلاف اجناسهم والوانهم

(١) النظم الاسلامية (٢٢٦) .

ولغاتهم وعاداتهم ، وما قرّره من انه لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى، ومن ان المؤمنين اخوة ؛ فلا يكمل ايمان احدهم حتى يحبّ لأخيه مـا يحبُّ لنفسه . فهذا الاخاء وهذه الحريّة والمساواة ادّت كلها الى انتشار جو ضاعف من قوّة الوحدة في الدولة الاسلامية ، وتضاعف في ظلّه نشاط كل جزء من اجزائها [١] ...

وهكذا بدأت وحدة عربية تحت لواء الاسلام في ايام النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق ، ثم اصبحت في عهد عمر بعد الفتح وحدة اسلامية وحدة اسلامية شاملة دينها الاسلام ورائدهـا السلام ، ودخل غير المسلمين في دين الله افواجاً ، واقبلوا على اللغة العربية تعلماً وتدريساً حتى اصبح بعضهم من اكبر أئمة اللغة العربية ومن اعظم روادها .

هذه بعض اعمال عمر التي جعلته ينشىء دولة ويقيم وحدة وينشر لغـــة ويرفع بنياناً ..

انه نسي نفسه وذكر رعيتـــه واخلص لله ، فخسر نفسه وربح الدنيا والآخرة .

قال عبدالله بن عباس : « كان عمر كلما صلى صلاة جلس للناس ، فمن كانت له حاجة نظر فيها . فصلى صلوات لا يجلس فيها ، فأتيت الباب فقلت: يا يَرْفا ! أبأمير المؤمنين شكوى ؟ قال : لا . فبينا انا كذلك إذ جاء عثمان فدخل يرفأ ثم خرج علينا ، فقال : قم يا ابن عفـــان ، قم يا ابن عباس ، فدخلنا على عمر وبين يديه صُبر من مال ، على كل صُبرة منها كتِف ، فقال: اني نظرت فلم اجد بالمدينة اكثر من عشيرة منكما ، خذا هـذا المال فاقسماه بين الناس ، فان فَضَل فضْل فردّاه . فأما عثمان فحثا ، واما انا فجثيت

---

(١) الفاروق عمر (٢ - ٣٤٣) .

لركبتيّ فقلت : وان كان نقصاناً رددت علينا ؟ فقال : شِنْشِنة من اخشن ؟ (يعني حجراً من جبل) ، أما كان هذا عند الله إذ محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه يأكلون القِد [1] ؟ قلت : بلى ، ولو فتح عليه لصنع غير الذي تصنع ! قال : وما كان يصنع ؟ قلت : اذاً لأكل واطعمنا . قال : فرأيته نشج حتى اختلفت اضلاعه ، وقال : لوددْتُ اني خرجت منه كفافاً ، لا عليّ ولا لي [2] » .

وقال ابن عباس : دخلت على عمر حين طعن فجعلت اثني عليه ، فقال : بأي شيء تثني عليّ ؟ بالأمرة او بغيرها ؟ قلت : بكل . قال : ليتني اخرج منها كفافاً لا أجر ولا وزر [3] » .

وقال ابن عباس : « قلت لعمر : مَصّر الله بك الامصار وفتح بك لفتوح ، وفعل بك وفعل! ، فقال : لوددت اني انجو منه لا أجر ولا وزر». ولما حضرته الوفاة قال : « بالامارة تغبطونني ؟ فوالله لوددت أني انجو كفافاً لا عليّ ولا لي [4] » .

وقيل له وهو على فراش الموت : « ابشر يا امير المؤمنين لبشرى الله تعالى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة » ، فقال : « وددت ان ذلك كفاف لا عليّ ولا لي [5] » .

---

(١) القد : الشيء المقدود . والقديد : اللحم قطع طولاً وملح وجفف في الهواء والشمس .

(٢) طبقات ابن سعد «٣/٢٨٨» .

(٣) طقفات ابن سعد «٣/٣٥١» .

(٤) طبقات ابن سعد « ٣/٣٥١ » .

(٥) الاستقصا « ١/٢١ » .

وقال عبدالله بن عامر : « رأيت عمر اخذ تبنــة من الارض فقال : ليتني كنت هذه التبنة ، ليتني لم اخلق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم اكن شيئاً ، ليتني كنت نسياً منسيا [1] » .

كل تلك الانجازات التي انجزها عمر ، وهو يتمنى ان يخرج منهـا كفافاً لا له ولا عليه ، فكيف بالذين لم ينجزوا شيئاً ثم يملأون الدنيــا صراخاً ودعاوى ؟؟ .

رضي الله عن القــائد الفاتح ، الفارس المغوار البطل الكرار ، القوي الأمين ، القاضي العادل ، الحاكم العبقري ، الفقيه المحدّث ، العالم العامل ، الذكي الألمعي ، التقي النقي ، الخليفة الورع ، المجتهد المشرّع ، الفاروق عمر ابن الخطاب العدوي القرشي.

---

(١) صفوة الصفوة « ١/١٠٩ » .

المصـــادر

١ – القرآن الكريم .

٢ – تفسير ابن كثير – الحافظ بن كثير – مطبعة المنار بمصر – ١٣٤٧ هـ.

٣ – تفسير البغوي – الامام البغوي – مطبعة المنار بمصر – ١٣٤٧ هـ – مطبوع في القسم الادنى من صحائف تفسير ابن كثير .

٤ – تفسير الكشاف – الامام الزمخشري – مطبعة بولاق بمصر ١١١٣ هـ .

٥ – تفسير انوار التنزيل – القاضي البيضاوي – مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر – ١٣٣٠ هـ .

٦ – تفسير المنار – السيد محمد رشيد رضا – مطبعة المنار بمصر – ١٣٢٥ هـ.

٧ – تفسير الجلالين – جلال المحلي وجلال السيوطي – مطبعـــة حجازي بالقاهرة – على هامش القرآن الكريم .

٨ – في ظلال القرآن – سيد قطب – مطبعة دار احيـــاء الكتب العربية بمصر – الطبعة الثانية .

٩ – التفسير الواضح – محمد محمود حجازي – مطابع دار الكتاب العربي بمصر – الطبعة الثانية .

١٠ ـ تفسير القرآن الكريم ـ محمود شلتوت ـ مطابع دار القـلم بمصر ـ الطبعة الثانية .

١١ ـ فضائل القرآن ـ الامام ابن كثير ـ مطبعة المنار بمصر ـ مطبوع بنهاية تفسير ابن كثير ـ ١٣٤٧ هـ .

١٢ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ وضعه بالفرنسية جول لابوم وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعـة عيسى البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٤٣ هـ ـ الطبعة الاولى .

١٣ ـ دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن ـ الحاج ناظم صالح ـ المطبعة الحميدية بمصر ١٣٢٢ هـ .

١٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٤ هـ .

١٥ ـ المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته ـ محمد فارس بركات ـ المطبعة الهاشمية بدمشق ـ ١٣٧٧ هـ .

١٦ ـ كتاب المصاحف ـ الحافظ السجستاني ـ المطبعة الرحمانية بمصر ـ ١٣٥٥ هـ .

١٧ ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ الامام ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٣٠١ هـ .

١٨ ـ التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ـ الحسين بن المبارك ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٤٧ هـ .

١٩ ـ شرح النووي على مسلم ـ الامام النووي ـ المطبعة الكتلية بمصر ـ ١٢٨٣ هـ .

٢٠ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ـ الامام أحمد بن حنبل ـ المطبعة الميمنية بمصر ـ ١٣١٣ هـ .

٢١ سنن ابن ماجة - الامام ابن ماجة - المطبعة العلمية بمصر - ١٣١٣ هـ.

٢٢ - سنن الترمذي - الأمام الترمذي - طبعة بولاق بمصر - ١٢٩٢ هـ .

٢٣- مفتاح كنوز السنّة - وضعه بالانكليزية الدكتور فنسنك وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة مصر - ١٣٥٢ هـ .

٢٤- المحلي - ابن حزم المطبعة المنيرية بمصر - ١٣٥٠ هـ .

٢٥- الأم - الامام الشافعـــي - مطبعة بولاق بمصر - ١٣٢٢ هـ -الطبعة الاولى .

٢٦- الخراج - الامام أبو يوسف - المطبعة السلفية بمصر - ١٣٤٦ هـ .

٢٧- الخراج - قدامة بن جعفر البغدادي - أعادت مكتبة المثنى ببغـداد طبعه - ١٩٦٣ م .

٢٨- المنتقى من اخبار المصطفى - عبـــد السلام بن تمية الحرّاني - مطبعة حجازي بمصر - ١٣٥١ هـ - الطبعة الاولى .

٢٩- تيسير الوصول - ابن الربيع الشيباني - المطبعة السلفيـــة بمصر - ١٣٤٦ هـ .

٣٠- كتاب الجهاد وكتاب الجزية واحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء - محمد بن جرير الطبري - مطبعة ليدن - ١٩٣٣ م .

٣١- سيرة ابن هشام - أبو محمد عبد الملك بن هشام - مطبعة حجازي بالقاهرة - ١٣٥٦ هـ .

٣٢ - عيون الأثر - ابن سيد الناس - مطبعة القدسي ومطبعـة السعادة بمصر - ١٣٥٦ هـ .

٣٣- جوامع السيرة - ابن حزم - مطبعة دار المعارف بمصر .

٣٤- السيرة الحلبية - علي الحلبي الشافعي - مطبعة مصطفى محمد بمصر .

٣٥- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب - المطبعة السلفية بمصر - ١٣٧٩ هـ .

٣٦- طبقات ابن سعد - ابن سعد - مطبعة دار بيروت وصادر ببيروت - ١٣٧٦ هـ .

٣٧- الاصابة في تمييز الصحابة - الامام العسقلاني - مطبعة دار السعادة بمصر - ١٣٢٣ هـ .

٣٨- أسد الغابة في معرفه الصحابة - ابن الأثير - المطبعة الاسلامية بطهران - ١٣٧٧ هـ .

٣٩- الاستيعاب في معرفة الاصحاب - ابن عبد البر - مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

٤٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الامام الذهبي مطبعة السعادة بمصر - ١٣٢٥ هـ .

٤١- أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا - ابن حزم - ملحق بجوامع السيرة - مطبعة دار المعارف بمصر .

٤٢- أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد - ابن حزم - ملحق بجوامع السيرة - مطبعة دار المعارف بمصر .

٤٣- المعارف - ابن قتيبة - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٩٦٠ م .

٤٤- تهذيب ابن عساكر - المطبعة العربية بالشام - ١٣٥١ هـ .

٤٥- تهذيب التهذيب - الامام ابن حجر العسقلاني - مطبعة حيدر آباد الدكن - ١٣٢٦ هـ .

٤٦- صفة الصفوة - الامام ابن الجوزي - مطبعة حيدر آباد الدكن - ١٣٥٥ هـ.

٤٧- خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال - صفي الدين أحمد الخزرجي - المطبعة الخيرية بمصر - ١٣٢٢ هـ .

٤٨- الرياض النضرة في مناقب العشرة - أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري - مطبعة دار التأليف بمصر - ١٣٨٣ هـ - الطبعة الثانية .

٤٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - الحافظ الاصبهاني - مطبعة السعادة بمصر - ١٣٥١ هـ .

٥٠ تهذيب الاسماء واللغات - الامام النووي المطبعة المنيرية بمصر .

٥١- الولاة والقضاة - أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري - مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت - ١٩٠٨ م .

٥٢- الوزراء والكتاب - ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري - مطبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر - ١٣٥٧ هـ - الطبعة الاولى .

٥٣- تاريخ الطبري - الامام الطبري -- مطبعة الاستقامة بمصر - ١٣٤٧هـ.

٥٤- تاريخ ابن الاثير- ابن الاثير - مطبعة ذات التحرير بمصر - ١٣٠٣هـ .

٥٥- مروج الذهب - المسعودي - طبع على هامش تاريخ ابن الاثير - مطبعة ذات التحرير بمصر - ١٣٠٣ هـ .

٥٦- البلاذري - فتوح البلدان - أبو الحسن البلاذري - مطبعة السعادة بمصر - ١٩٥٩ م .

٥٧- فتوح الشام - الواقدي - مطبعة دار العهد الجديد بمصر -١٣٧٣ هـ .

٥٨- المختصر من اخبار البشر - تاريخ أبي الفدا - أبو الفداء - المطبعة الحسينية بمصر - ١٣٢٥ هـ .

٥٩- تاريخ اليعقوبي - أحمد بن يعقوب - مطبعة الغري بالنجف- ١٣٥٨هـ.

٦٠- تاريخ ابن خلدون- العلامة ابن خلدون- مطبعة بولاق بمصر-١٢٨٤هـ.

٦١- مقدمة ابن خلدون - مطبعة مصطفى محمد بمصر .

٦٢- تاريخ عمر بن الخطاب - ابن الجوزي- مطبعة محمد علي صبيح بمصر .

٦٣- البداية والنهاية - عماد الدين أبوالفدا اسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي- مطبعة السعادة بمصر .

٦٤- شذرات الذهب- ابن العماد الحنبلي - مطبعة القدسي بمصر - ١٣٥٠هـ.

٦٥ - تاريخ الاسلام - شمس الدين الذهبي - مطبعة السعادة بمصر- ١٣٦٨هـ.

٦٦- دول الاسلام - الامام الذهبي - مطبعة حيدر آباد الدكن .

٦٧- البدء والتاريخ - المنسوب لابن البلخي وهو لمطهّر بن طاهر المقدسي- طبع باريس - ١٩١٦ م .

٦٨- العبر في خبر من غبر - الحافظ الذهبي - مطابع حكومة الكويت - ١٩٦٠ م .

٦٩- تاريخ الخلفاء - السيوطي - المطبعة المنيرية ١٣٥١ هـ .

٧٠- فتوح مصر والمغرب - ابن عبد الحكم - مطابع لجنة البيان العربي بمصر .

٧١- الاستقصا لدول المغرب الاقصى- مطبعة دار الكتاب في الدار البيضاء بالمغرب - ابو العباس احمد بن خالد الناصري - ١٩٥٤م .

٧٢- المسالك والممالك - الاصطخري - مطابع دار القلم بالقاهرة - ١٣٨١ هـ .

٧٣- معجم البلدان - ياقوت الحموي - مطبعة دار السعادة بمصر-١٣٢٣ هـ .

٧٤- آثار البلاد واخبار العباد - زكريا القزويني - مطبعة دار صادر ودار بيروت ببيروت - ١٣٨٠ هـ .

٧٥- تقويم البلدان - أبو الفدا مطبعة باريس بدار الطباعة السلطانية - ١٨٤٠ م .

٧٦ المسالك والممالك - ابن خرداذبة - اعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعة - ١٩٦٣ م .

٧٧- أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - المقدسي المعروف بالبشاري-مطبعة بريل بليدن - ١٩٠٦ م .

٧٨- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - غرس الدين خليل ابن شاهين الظاهري - مطبعة الجمهورية بباريس - ١٨٩٤ م .

٧٩- البلدان -أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه - مطبعة بريل بليدن - ١٣٠٢ هـ .

٨٠- الاعلاق النفسية - أبو علي احمد بن عمر بن رسته - مطبعة بريل بليدن - ١٨٩١ م .

٨١- البلدان - احمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي- مطبعة بريل بليدن - ١٨٩١ م .

٨٢- المشترك وضعا والمفترق صقعا - ياقوت الحموي - طبع سنة ١٨٤٦ م وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه سنة ١٩٦٣ م .

٨٣- أطلس العالم الاسلامي - هاري هازار - مطبعة مصر .

٨٤- جمهرة أنساب العرب - ابن حزم - مطابع دار المعارف بمصر - ١٣٨٢ هـ .

٨٥- نسب قريش -المصعب الزبيري - دار الطباعة بمصر - ١٩٥٧ م .

٨٦- أنساب الاشراف - البلاذري - مطبعة دار المعارف بمصر

٨٧- المنتخب في ذكر أخبار العرب - عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري- مطبعة المدني بمصر - ١٣٨٢ هـ .

٨٨ الانساب المتفقة – ابن القيسراني – مطبعة بريـــل بليدن – اعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه سنة ١٩٦٣ م.

٨٩– العقد الفريد – ابن عبد ربه – المطبعـــة الازهرية بمصر – ١٣٤٦ هـ – الطبعة الثانية .

٩٠.. الكامل – ابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد – مطبعة محمد علي صبيح بمصر – ١٣٤٧ هـ .

٩١– عيون الاخبار – ابن قتيبة – مطبعة دار الكتب المصرية–١٣٤٣ هـ .

٩٢– البيان والتبيين – الجاحظ – مطبعة الاستقامة بالقاهرة – ١٣٧٥ هـ – الطبعة الرابعة .

٩٣ - الاصنام – أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي – المطبعة الأميريـــة بالقاهرة – ١٣٣٢ هـ .

٩٤– الاحكام السلطانية – الماوردي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر – ١٣٨٠ هـ – الطبعة الاولى .

٩٥– مختصر سياسة الحروب – الهرثمي – مطبعة مصر – ١٩٦٤ م .

٩٦– بلوغ الارب – محمود شكري الالوسي – مطابع دار الكتاب العربي بمصر – الطبعة الثالثة .

٩٧ - لسان العرب – ابن منظور – مطبعة بولاق بمصر – ١٣٠١ هـ .

٩٨– ترتيب القاموس المحيط – طاهر أحمـد الزاوي – مطبعة الرسالةبمصر– ١٩٥٩ م .

٩٩ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بمصر –مطبعة مصر–١٣٨٠ هـ .

١٠٠– مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر الرازي – المطبعة الاميرية بالقاهرة – ١٣٣٤ هـ – الطبعة الخامسة .

المراجع

١ – الفتوحات الاسلامية – لزينى دحلان – مطبعة مصطفى محمد بمصر – ١٣٥٤ هـ .

٢ – الاعلام – خير الدين الزركلي – الطبعة الثانية .

٣ – ايام العرب في الجاهلية – محمد احمد جاد المولى ورفقاؤه .

٤ – الخلفاء الراشدون – عبد الوهاب النجار – الطبعة الثانية – ١٩٦٠

٥ – حياة محمد – محمد حسين هيكل – الطبعة الخامسة – ١٩٥٢ .

٦ – الصديق ابو بكر – محمد حسين هيكل – مطبعة مصر – ١٣٧٧ هـ .

٧ – الفاروق عمر – محمد حسين هيكل – مطبعة مصر – ١٣٦٤ هـ .

٨ – عبقرية الصديق – عباس محمود العقاد – مطبعة المعـــارف بمصر – ١٩٤٣ .

٩ – عبقرية عمر – عباس محمود العقاد – ١٣٧٩هـ – الطبعة السادسة .

١٠ – عبقرية خالد – عباس محمود العقاد – مطابع دار الهلال بمصر .

١١ – اخبار عمر – علي الطنطاوي واخوه – مطابع دار الفكر بدمشق – ١٣٧٩هـ – الطبعة الأولى .

١٢ – زعماء الإســـلام – حسن ابراهيم حسن – المطبعة النموذجية بمصر

- ١٩٥٣م – الطبعة الاولى .
١٣ – الشخصيات البارزة التاريخية – احمد فريد رفاعي – مطبعة المعارف بمصر – ١٣٥٢هـ – الطبعة الاولى .
١٤ – السياسة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين – عبد المتعال الصعيدي – دار الفكر العربي – ١٣٨١هـ .
١٥ – الشيخان – طه حسين – مطابع دار المعارف – ١٩٦٠ .
١٦ – غزوات أحد – محمد أحمد باشميل – مطبعة دار الكتب ببيروت .
١٧ – الرسول القائد – محمود شيت خطاب – الطبعة الثالثة – دار القلم – القاهرة .
١٨ – قادة فتح العراق والجزيرة – الجزء الاول من قادة الفتح الاسلامي محمود شيت خطاب – مطابع دار القلم بالقاهرة – ١٩٦٣ .
١٩ – عمر بن الخطاب – محمد صبيح – دار القاهرة للطباعة – ١٩٥٨م .
٢٠ – الجهاد في الاسلام – حامد مصطفى – مطبعة المعارف ببغداد .
٢١ – الجهاد في الاسلام – محمد شديد – مؤسسة المطبوعات الحديثة .
٢٢ – القرآن والقتال – محمود شلتوت – مطبعة دار الكتاب العربي – ١٩٥١م .
٢٣ – الفن الحربي في صدر الاسلام – عبد الرؤوف عون – مطابع دار المعارف بمصر .
٣٤ – آثار الحرب في الفقه الاسلامي – وهبة الزحيلي – مطابع دار الفكر بدمشق – ١٣٨٢هـ .
٢٥ – الخراج في الدولة الاسلامية – محمد ضياء الدين الريس – مطبعة نهضة مصر – الطبعة الاولى .

٢٦ - منهاج الحكم في الاسلام - محمد أسد - دار العلم للملايين ببيروت .
٢٧ - الاســلام والسلام العالمي - سيد قطب - مطبعة الاعتماد بمصر - الطبعة الثانية .
٢٨ - النظريات السياسية الاسلامية - محمد ضيــاء الدين الريس - مطبعة لجنة البيان العربي بمصر - الطبعة الاولى - ١٩٥٢ .
٢٩ - الاسلام عقيدة وشريعة - محمود شلتوت - مطابع دار القلم بالقاهرة .
٣٠ - من توجيهات الاسلام - محمود شلتوت - مطبعة الأزهر بمصر .
٣١ - حقائق الاسلام واباطيل خصومه - عباس محمود العقــاد - مطبعة مصر - ١٣٧٦هـ .
٣٢ - اشتراكية الاسلام - مصطفى السباعي - دار المطبوعات العربيــة بدمشق - الطبعة الثانية .
٣٣ - نظرات في كتاب اشتراكيه الاسلام - محمد الحامد - مطبعة العلم بدمشق - ١٣٨٢هـ .
٣٤ - النزعة الاشتراكيه في الاسلام - انور الخطيب - دار العلم للملايين ببيروت .
٣٥ - مبادىء الاسلام - ابو الاعلى المودودي - المطبعة الهاشمية بدمشق - ١٣٧٣هـ .
٣٦ - الاشتراكية في الاسلام - طه المدور .
٣٧ - نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقــانون والدستور - ابو الاعلى المودودي - دار الفكر بدمشق .
٣٨ - الادارة الاسلامية في عز العرب - محمد كرد علي - مطبعة مصر - ١٩٣٤ .

٣٩ – الجغرافية العسكرية – طـــه الهاشمي – مطبعة الكرخ ببغداد – ١٩٣٤م .
٤٠ – الأمة في الحرب – المشير فون لودندروف – مطبعة الشعب ببغداد – ١٩٥٦م .
٤١ – نظام السلم والحرب في الاسلام – مصطفى السباعي – مطابع دار الكشاف ببيروت .
٤٢ – السياسة الشرعية – ابن تيمية .
٤٣ – سفرة الزاد لسفرة الجـــهاد – ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي – مطبعة دار السعادة ببغداد – ١٣٢٣هـ .
٤٤ – الجندية – واقع ومثال – امين الخولي – دار المعرفة – ١٩٦٠
٤٥ – نظم الحرب في الاسلام – جمال الدين عياد .
٤٦ – نظامات الخدمة السفرية – كتاب رسمي .
٤٧ – ادارة الحرب – كتاب رسمي .
٤٨ – فوج مشاة في المعركة – كتاب رسمي .
٤٩ – الفرقة في المعركة – كتاب رسمي .
٥٠ – مجلة الرسالة المصرية العدين [٤٩٣ و ٤٩٥] – مقالان عن : التلباثي للعقاد .
٥١ – مجلة المجمع العلمي العراقي .
٥٢ – وحي القـلم – مصطفى صادق الرافعي – مطبعة الاستقامة بالقاهرة – الطبعة الرابعة – ١٣٧٠هـ .
٥٣ – قادة فتح بلاد فارس – دار الفتح – بيروت .
٥٤ – قادة فتح الشام ومصر – دار الفتح – بيروت .

الفهارس

الأعلام

ـ أ ـ

— ب —

— ت —

— ج —

— ح —

— خ —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

ـ ط ـ

ـ ع ـ

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

— ل —

— م —

— ن —

— ﻫ —

— و —

— ي —

الأماكن

ـ أ ـ

— ب —

— ت —

— ج —

— ح —

— خ —

— د —

— س —

— ش —

— ص —

— ض —

— ط —

— ع —

— ف —

— ن —

— هـ —

— و —

— ي —

الموضوعات

الصفحة

آثار المؤلف

الكتب العسكرية

١ – القضايا الأدارية في الميدان – مطبعة الجيش – بغداد – نفد
٢ – التدريب الفردي ليلاً – طبع بغداد – نفد

التاريخ الاسلامي

١ – الرسول القائد – الطبعة الثالثة – دار القلم في القاهرة .
٢ – قادة فتح العراق والجزيرة – دار القلم في القاهرة .
٣ – قادة فتح الشام ومصر
٤ – قادة فتح بلاد فارس
٥ – قادة فتح المغرب
٦ – قادة فتح المشرق
٧ – قادة فتح الأندلس والبحار
٨ – قادة فتح اوروبة

(٣–٨) تصدر تباعاً

٩ – الفاروق القائد – مطبعة العاني في بغداد
١٠ – الصدّيق القائد
١١ – الإمام القائد
١٢ – القادة الراشدون
١٣ – كرامة العلماء
١٤ – الحرب والسلام في الإسلام

(١٠–١٤) تصدر تباعاً

١٥ – قادة النبي
١٦ – سفراء النبي
١٧ – الفتح الإسلامي

تاريخ الحرب

المشير فون روشتد – طبع في بغداد ونفد ، وصدرت الطبعة الثانية عن دار مكتبة الحياة – بيروت .

هذا الكتاب

إذا كانت أسباب الفتح الإسلامي كثيرة ، فإنّ على رأس تلك الأسباب ما كان يتمتع به عمر من سجايا قيادية فذّة لا تتكرر في غيره على مرّ السنين والعصور إلا نادراً ...

هذه السجايا الشخصية لقيادة الفاروق ، كان لها الأثر الحاسم على اندفاع المسلمين شرقاً وغرباً ، حاملين رايات الإسلام ومبادئه السمحة للعالم كله ، ومع ذلك لم يكتب أحد عن أثر قيادته في الفتوح من الناحية العسكرية الفنية حتى اليوم !!!

إنّ تاريخ العرب المسلمين الحربي ، مفخرة من مفاخر تاريخ الحرب العالمي ، وهذا التاريخ ، إذا أحسن عرضه ونشره ، غنيّ بالدروس والعبر لكل عربي ولكل مسلم ، بل لكل منصف من غير العرب والمسلمين ، فلماذا يستورد العرب والمسلمون الدروس والعبر من تاريخ الأمم الأخرى ويتركون تاريخهم وراءهم ظهريا ؟

وإني أطمع أن تكون حياة القادة الفاتحين عقيدة وعملاً وتضحية وفداء ، بعد أن لمس العرب والمسلمون روعتها وسموها ...

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان